إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ

الإسلام

وَهُوَ دِينُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عليهم الصلاة والسلام

تأليف

أبو مُسلِم نُور الدِّين أحمد بن الكَمال بن سُلَيمان

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران:١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء:١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وبعد: فإن الله قد أعلم عباده بأمره ومراده وبين لهم طريقه المستقيم ودينه القويم وأوضح لهم الهداية والرشاد ودينه الذي شرعه وأنزله وارتضاه للعباد ، وبين لهم الحق بالآيات المنيرات والحجج البالغة والبراهين الدامغة فجعل كل ذلك نورًا يهدي به من يشاء من عباده ممن أحبه واصطفاه للهداية والتوفيق إلى مرضاته والجنة، فقال عز من قائل في كتابه العظيم ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [سورة النحل:٨٩]، ومما بينه الله في كتابه الكريم أن الدين المقبول عنده هو الإسلام ، ولا يقبل الله دينًا

غيره ولا يقبل أحدًا من خلقه ابتغى غير هذا الدين ، وحذرنا وأبلغ في التحذير والتنبيه من المشركين والذين أوتوا الكتاب من قبلنا وهم اليهود والنصارى الذين بدلوا نعمة الله التي أنزلها عليهم بدلوها كفرًا هم والمشركين وأوقعوا قومهم في دار البوار جهنم وبئس المصير فقال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة إبراهيم:٢٨-٣٠] وبين الله لنا أنهم لما بدلوا نعمة الله التي أنزلها عليهم من الكتب والرسالات أبدلوها كفرًا ، نظروا إلى الذين أنزل الله عليهم الحق والهدى والصلاح والرشاد ودين الحق وهداهم الله إليه وإلى اتباع دينه الإسلام دين التوحيد الخالص نظروا إليهم نظرة حسد وبغض لهم ولما هم فيه من الخير المنزل عليهم من عند الله وودوا لو أن أهل الإسلام كفروا مثلهم واتخذوا سبيلهم الشركي المحرف ، واتخذوا في ذلك الحيل والمكائد والخديعة وقد قص الله علينا من ذلك الذي فعلوه وقالوه في كتابه العزيز﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة البقرة:١٠٥] قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [سورة البقرة:١٠٩] وقال تعالى عن رغبتهم في إضلال المسلمين: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

﴿٦٩﴾ [سورة آل عمران:٦٩] وهذا الذي كانوا يتمنونه ويأملونه هو إضلال أهل الإسلام عن ما نزل إليهم من الحق من ربهم حتى يتبعونهم على دينهم الباطل وملتهم العوجاء وعبادة الأحبار والرهبان وعيسى بن مريم والصليب والعياذ بالله من دون الله رب العالمين ﷻ عما يشركون علوًا كبيرًا ، فقال الله ﷻ ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة البقرة:١٢٠] وكانوا يطمعون في ركون النبي ﷺ باســـتقبال بيت المقدس وقالو اليوم اتبع قبلتنا وغدًا يتبع ديننا ولكن الله جعل طمعهم هذا سرابًا ذاهبًا أدراج الرياح فأمر نبيه باستقبال الكعبة بيت الله الحرام والتحول عن بيت المقدس.

فإن أهل الكتاب والمشركين يداهنون أتباعهم وأذيالهم من منافقي هذه الأمة بالعبارات التي تهدم الحق في قلوب المسلمين وتضلهم عن القيام بواجباتهم الدينية تجاه الإسلام وكان لذلك الإضلال أثر في سقوط الأندلس في أيدي المشركين ولا يزال هذا الإضلال من المنافقين وأذيال المشركين ليخرجوا أهل ملة الإسلام من دينهم تدريجيًّا على مراحل من الإضلال بالدعوات المضلة التي تدعو إلى توحيد الأديان ودعوة الأديان السماوية ، وما هو إلا دين سماوي واحد وهو الإسلام، إن دعوة المساواة بين الأديان ودعوة وحدة الأديان ضلال مبين مثل قولهم: إن الناس يجوز لهم اتباع أي دين من الأديان الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام ويكون مقبول في زعمهم عند الله ودعواهم أن أهل اليهودية والنصرانية مؤمنون مثل أهل الإسلام تمامًا وأنهم داخلون الجنة مثل المسلمين الموحدين الحنفاء ، وتلك الدعوات ضلال لا ريب فيه وتلبس على المسلمين دينهم ليردوهم في سخط الله وغضبه وعذابه في نار جنهم، وللأسف وجدنا صدى هذه الدعوات المضلة عند البعض من عوام المسلمين يتلفظون بمثل هذا أو يعتقدون به بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير من الله، وذلك بعدما أفسد أهل الكتابين اليهود والنصارى الدين الذي أنزل إليهم وهو الإسلام وكذبوا الرسل وقتلوهم وأفسدوا دينهم واختلفوا فيه حتى أصبح دينًا غير الذي أنزل إليهم أصبح شركًا

خالصًا واعتقادا باطلًا ، ولكن الله بين أن الدين عنده المقبول هو الإسلام الذي شرعه وارتضاه للعباد وأنزله على رسله ليبلغوه إلى قومهم ليعملوا به ويتبعوا أوامره وما وصاهم الله به فيه، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [سورة آل عمران:١٩] والاختلاف هنا بمعنى الإيمان والكفر قال ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [سورة البقرة:٢٥٣] قال ابن كثير في تفسيره « إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ لَا دِينَ عِنْدَهُ يَقْبَلُهُ مِنْ أَحَدٍ سِوَى الْإِسْلَامِ، وَهُوَ اتِّبَاعُ الرُّسُلِ فِيمَا بَعَثَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ، حَتَّى خُتِمُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، الَّذِي سَدَّ جَمِيعَ الطُّرُقِ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ بَعْدَ بِعْثَتِهِ مُحَمَّدًا ﷺ بدِين عَلَى غَيْرِ شَرِيعَتِهِ، فَلَيْسَ بِمُتَقَبَّلٍ »[1] أي أن الله تعالى لا يقبل غير الدين الذي أرسل به الرسل جميعهم وأمرهم بإقامته وبدعوة الناس إليه وهو الإسلام الذي يتضمن التوحيد الخالص لله والاستسلام لأمر الله، وعبادة الله الواحد القهار وحده لا شريك له ونبذ الشرك والبعد عنه، وما اختلفوا في دينهم إلا من بعد ما جاءهم العلم فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم وما يفعله أهل الكتاب من اليهود والنصارى من محاولة إضلال المسلمين وتحريف وإفساد دينهم وإخراجهم من التوحيد إلى شركهم إنما هو حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق وقد نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا وقد حذرنا الله منهم كل الحذر في كتابه الكريم وعلى لسان رسول الله ﷺ من كفرهم بالله وأقوالهم الكفرية على الله ﷻ، ومعتقداتهم الشركية

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٥)

الوثنية في الدين بعدما حرفوه عن التوحيد والإيمان الصحيح بالله رب السموات والأرض رب العالمين.

حكم الله ﷻ على اليهود والنصارى بالكفر
ولعنهم لأقوالهم الكفرية وتكذيبهم لكتاب الله ورسوله

وقد بين الله لنا كفرهم في غير ما موضع من كتابه الكريم وأخبرنا عن أفعالهم الشركية وأقوالهم الكفرية فقال تعالى في سورة آل عمران عن اليهود ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [سورة آل عمران:١٨١] قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴿٦٤﴾﴾ [سورة المائدة:٦٤]

وقال تعالى أيضًا عن اليهود ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة المائدة:٦١] وقال تعالى مبينًا كفر اليهود والنصارى في اعتقادهم المشابة لاعتقاد المشركين من قبل ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ

مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة التوبة:٣٠-٣١] قال صاحب تفسير محاسن التأويل رحمه الله ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة التوبة:٣٠] «جملة مبتدأة، سيقت لتقرير ما مر من عدم إيمان أهل الكتابين بالله سبحانه، وانتظامهم بذلك في سلك المشركين»(٢)

وقال تعالى في سورة المائدة عن كفر النصارى ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة المائدة:٧٢]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره :يَقُولُ تَعَالَى حَاكِمًا بِتَكْفِيرِ فِرَقِ النَّصَارَى، مِنَ الْمَلَكِيَّةِ وَالْيَعْقُوبِيَّةِ وَالنُّسْطُورِيَّةِ، مِمَّنْ قَالَ مِنْهُمْ بِأَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللَّهُ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ وَتَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٣)

وقال الله تعالى في سورة المائدة ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة المائدة:٧٣]

---

(٢) «تفسير القاسمي = محاسن التأويل» (٥/ ٣٩٠)

(٣) «تفسير ابن كثير» ٣/ ١٥٧

قَالَ السُّدِّي وَغَيْرُهُ: نَزَلَتْ فِي جَعْلِهِمُ الْمَسِيحَ وَأُمَّهُ إِلَهَيْنِ مَعَ اللَّهِ، فَجَعَلُوا اللَّهَ (٦) ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ، قَالَ السَّدِّيُّ: وَهِيَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي آخِرِ السُّورَةِ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ الْآيَةَ [الْمَائِدَةِ:١١٦].

وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْأَظْهَرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أَيْ: لَيْسَ مُتَعَدِّدًا، بَلْ هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهُ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ وَسَائِرِ الْمَوْجُودَاتِ.

ثُمَّ قَالَ: تَعَالَى مُتَوَعِّدًا لَهُمْ وَمُتَهَدِّدًا: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ أَيْ: مِنْ هَذَا الِافْتِرَاءِ وَالْكَذِبِ ﴿لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أَيْ: فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْأَغْلَالِ وَالنَّكَالِ [٤] وقال تعالى في سورة البينة ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [سورة البينة:٤-٦]

خْبِرُ تَعَالَى عَنْ مَآلِ الْفُجَّارِ، مِنْ كَفَرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَالْمُشْرِكِينَ الْمُخَالِفِينَ لَكُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ وَأَنْبِيَاءِ اللَّهِ الْمُرْسَلَةِ: أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أَيْ: مَاكِثِينَ، لَا يُحَوَّلُونَ عَنْهَا وَلَا يَزُولُونَ ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ أَيْ: شَرُّ الْخَلِيقَةِ الَّتِي بَرَأَهَا اللَّهُ وَذَرَأَهَا [٥]

وليس كل أهل الكتاب من قبل بعث النبي ﷺ كفار ولكن كان منهم مؤمنين وكفار وغلب الكفر على أكثرهم لبعدهم عن الدين المنزل من عند الله لهم على أنبيائهم وقد أخبر الله ﷻ أنه لا يقبل أي دين غير الإسلام الذي أنزله للعباد فقال تعالى في سورة آل عمران ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل

(٤) «تفسير ابن كثير» ٣/ ١٥٨

(٥) «تفسير ابن كثير» ٨/ ٤٥٧

عمران:٨٥] وقال تعالى في سورة الكهف ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة الكهف:١٠٣-١٠٦]

عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، قال: سألت أبي: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا﴾، أهم الحرورية؟ قال: لا، هم اليهود والنصارى؛ أما اليهود فكذبوا محمدًا -ﷺ-، وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب. والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه. وكان سعد يسميهم: الفاسقين(٦) وقال عبد الله بن عباس: هم اليهود، والنصارى (٧) وقال يحيى بن سلّام: ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ هم أهل الكتاب(٨) وقال مقاتل بن سليمان: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا﴾، يعني: أصحاب الصوامع من النصارى(٩)

وها هو الله الحكيم الحسيب رب السماء والأرض ومن فيهن يخبرنا بحكمه أنه لا يقبل أي عمل من العباد غير الذي شرعه في دينه الإسلام، بل يجعل ما سواه هباءً منثورا لا وزن له ولا قبول لديه فإن الله شرع هذا الدين للعباد وأنزله على رسله حتى يبلغوه لعباده في الأرض ليدخلوا فيه ويؤمنوا به ويعتنقوه لأن الله ارتضاه لهم دينًا وسوف يحاسبهم عليه.

(٦) أخرجه عبد الرزاق ١/ ٤١٣ بنحوه مختصرًا، والبخاري (٤٧٢٨)، والنسائي في الكبرى (١١٣١٣)، وابن جرير ١٥/ ٤٢٥

(٧) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٠٠، وتفسير البغوي ٥/ ٢١٠

(٨) تفسير يحيى بن سلام ١/ ٢١٠

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٦٠٤

إن الله يخلق العباد حين يخرجوا من بطون أمهاتهم مسلمين على دينه المرضي عنده الذي شرعه لهم

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الروم: ٣٠].

وحكى الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية الكريمة عن ابن عباس وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وابن زيد قال تعالى: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ﴾ أي لدين الله

وأورد البخاري(١٠) بسنده حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿ فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾

وأورد الإمام أحمد(١١) حديث بسنده عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَغَزَوْتُ مَعَهُ فَأَصَبْتُ ظَهْرًا فَقَتَلَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ حَتَّى قَتَلُوا الْوِلْدَانَ ، وَقَالَ مَرَّةً : الذُّرِّيَّةَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ : مَا بَالُ أَقْوَامٍ جَاوَزَهُمُ الْقَتْلُ الْيَوْمَ حَتَّى قَتَلُوا الذُّرِّيَّةَ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا

---

(١٠) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم: (٤٧٧٥) ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٥٢) برقم: (٢٦٥٨)

(١١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٦ / ٣٣٢٠) – قال ابن عبد البر حديث بصري صحيح التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: (١٨ / ٥٧)

رَسُـولَ اللهِ، إِنَّمَا هُمْ أَوْلَادُ الْمُشْـرِكِينَ، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ خِيَارَكُمْ أَبْنَاءُ الْمُشْـرِكِينَ ثُمَّ قَالَ: أَلَا لَا تَقْتُلُوا ذُرِّيَّةً أَلَا، لَا تَقْتُلُوا ذُرِّيَّةً قَالَ: كُلُّ نَسَـــمَةٍ تُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعْرِبَ عَنْهَا لِسَـــانُهَا فَأَبَوَاهَا يُهَوِّدَانِهَا وَيُنَصِّرَانِهَا.

والمعنى أن الله ﷻ يخلق العباد خلقًا كاملًا لا نقص فيه حتى من الناحية الدينية فإن الله لا يخلق خلقًا ناقصًـا بغير دين ولكن يخلق الله الناس بجسـد وروح ودين يخلقهم عليه ويكون فطرتهم وهذا الدين هو الإسلام الذي خلقهم من أجل أن يعبدوه به ﷻ.

الإسلام دين الأنبياء جميعاً وأمرهم الله جل جلاله أن يدعو الناس إليه وأن يكونوا أول المسلمين

إن الدين عند الله الإسلام وهو دين الأنبياء من لدن آدم عليه السلام أبو البشر وهو أول نبي حتى بعثه النبي محمد ﷺ وقد ذكر الله ﷻ في كتابه القرآن العظيم بعد ما ذكر بعض أنبيائه وشيء من دعوتهم وأخلاقهم وما فعل قومهم معهم وشيء من سيرهم وصلاحهم وما أنزل الله عليهم من الكتب وهم موسى وهارون وإبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب ونوحًا ودود وسليمان وأيوب وإسماعيل وأدريس وذا الكفل وذا النون وزكريا ويحيى والصديقة مريم بنت عمران وابنها عيسى المسيح عليهم السلام ، قال ﷻ بعد ذلك ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة الأنبياء:٩٢] قال الإمام ابن كثير[١٢] رحمه الله ناقلًا أقوال السلف وترجمان القرآن قال: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يَقُولُ: دِينُكُمْ دِينٌ وَاحِدٌ ، وجاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ [١٣]

وقد أخبرنا النبي ﷺ أن الأنبياء دينهم واحد دين الإسلام وهو الدين عند الله المقبول المتضمن للتوحيد الخالص لله ﷻ والإذعان والانقياد والاستسلام لأوامر الله التي جاءت بها الرسل عليهم السلام في كتب الله المنزلة عليهم وضرب الرسول ﷺ مثل للأنبياء أنهم أخوة لأمهات شتى ، أي أن دينهم واحد وشرائعهم مختلفة مع اجتماعهم في أصل دين الإسلام وهو عبادة الله

---

(١٢) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٧١)

(١٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٤ / ١٦٧) ومسلم في "صحيحه" (٧ / ٩٦) برقم: (٢٣٦٥)

الواحد القهار ونبذ الشرك فبين النبي محمد ﷺ في حديث آخر شيء من تلك الشرائع المتعددة فقال النبي محمد ﷺ أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً (١٤)

(١٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٧٤) برقم: (٣٣٥) ومسلم في "صحيحه" (٢ / ٦٣) برقم: (٥٢١)

الله ﷻ لا يغير الدين ولا يبدله من زمن إلى آخر

بل هو دين واحد لكل العباد على مر العصور

قال تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِىَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِى شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الشورى:١٣-١٤].

«والمعنى: شرع لكم من الدين ما وصى به جميع الأنبياء من عهد نوح عليه السلام إلى زمن نبينا عليه الصلاة والسلام »(١٥)

عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن أبي نجيح- في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وصّى بِهِ نُوحًا﴾، قال: وصّاك -يا محمد- وأنبياءَه كلهم دينًا واحدًا (١٦)

عن زيد بن رفيع فقيه أهل الجزيرة، قال: بعث اللهُ نوحًا، وشرع له الدِّين، فكان الناس في شريعة نوح ما كانوا، فما أطفأها إلا الزَّندقة، ثم بعث الله إبراهيم، فكان الناس في شريعة مِن بعد

---

(١٥) «تفسير القاسمي = محاسن التأويل» (٨/ ٣٥٩)

(١٦) تفسير مجاهد ص ٥٨٨، وأخرجه ابن جرير ٢٠/ ٤٨٠ بلفظ: بنحوه. وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم

إبراهيم ما كانوا، فما أطفأها إلا الزَّندقة، ثم بعث الله موسى وشرع له الدِّين، فكان الناس في شريعة مِن بعد موسى ما كانوا، فما أطفأها إلا الزَّندقة، ثم بعث الله عيسى وشرع له الدِّين، فكان الناس في شريعة عيسى ما كانوا، فما أطفأها إلا الزَّندقة. قال: ولا يُخافُ على هلاك هذا الدِّين إلا الزَّندقة(١٧)

(١٧) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر

دين نبي الله نوح الذي جاء به من عند الله الإسلام
ودعوة قومه للدخول فيه والإيمان به

وقال الله ﷻ في كتابه القرآن العزيز عن نبيه نوح عليه السلام ﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢﴾ [سورة يونس:٧١-٧٢].

قال الإمام بن كثير رحمه الله مفسرًا للآية "يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ، صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أَيْ: أَخْبِرْهُمْ وَاقْصُصْ عَلَيْهِمْ، أَيْ: عَلَى كُفَّارِ مَكَّةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَكَ وَيُخَالِفُونَكَ ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾ أَيْ: خَبَرَهُ مَعَ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ، كَيْفَ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ ودَمّرهم بِالْغَرَقِ أَجْمَعِينَ عَنْ آخِرِهِمْ، لِيَحْذَرَ هَؤُلَاءِ أَنْ يُصِيبَهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ وَالدَّمَارِ مَا أَصَابَ أُولَئِكَ. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ﴾ أَيْ: عَظُم عَلَيْكُمْ، ﴿مَقَامِي﴾ أَيْ فِيكُمْ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، ﴿وَتَذْكِيرِي﴾ إِيَّاكُمْ ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أَيْ: بِحُجَجِهِ وَبَرَاهِينِهِ، ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أَيْ: فَإِنِّي لَا أُبَالِي وَلَا أَكُفُّ عَنْكُمْ سَوَاءٌ عَظُمَ عَلَيْكُمْ أَوْ لَا! ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ أَيْ: فَاجْتَمِعُوا أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، مِنْ صَنَم وَوَثَنٍ، ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أَيْ: وَلَا تَجْعَلُوا أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ مُلْتَبِسًا، بَلِ افْصِلُوا حَالَكُمْ مَعِي، فَإِنْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ مُحِقُّونَ، فَاقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ، أَيْ: وَلَا تُؤَخِّرُونِي سَاعَةً وَاحِدَةً، أَيْ: مَهْمَا قَدَرْتُمْ فَافْعَلُوا، فَإِنِّي لَا أُبَالِيكُمْ وَلَا أَخَافُ مِنْكُمْ، لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ"

وقال رحمه الله : قوله ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أَيْ: كَذَّبْتُمْ وَأَدْبَرْتُمْ عَنِ الطَّاعَةِ، ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ أَيْ: لَمْ أَطْلُبْ مِنْكُمْ عَلَى نُصْحِي إِيَّاكُمْ شَيْئًا، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أَيْ: وأنا ممتثل ما أمرت به مِنَ الْإِسْلَامِ لِلَّهِ عز وجل، وَالْإِسْلَامُ هُوَ دِينُ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، وَإِنْ تَنَوَّعَتْ شَرَائِعُهُمْ وَتَعَدَّدَتْ مَنَاهِلُهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [الْمَائِدَةِ: ٤٨] . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سَبِيلًا وَسُنَّةً

وقال رحمه الله: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾أَيْ: عَلَى دِينِهِ ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ وَهِيَ: السَّفِينَةُ، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ﴾ أَيْ: فِي الْأَرْضِ، ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ أَيْ: يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ أَنْجَيْنَا الْمُؤْمِنِينَ، وَأَهْلَكْنَا الْمُكَذِّبِينَ (١٨)

وقال الله في كتابه القرآن الحكيم عن دعوة نوح عليه السلام لقومه في دعوتهم إلى الإسلام وهو عبادة الله الواحد الأحد وأرساله عز وجل نوحًا لهم وتحذيرهم من عبادة غير الله ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة هود:٢٥-٢٦].

قال الإمام ابن كثير مفسرا الآية الكريمة: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ نُوحٍ، عليه السلام، وَكَانَ أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَبَدة الْأَصْنَامِ أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أَيْ: ظَاهِرُ النِّذَارَة لَكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ أَنْتُمْ عَبَدْتُمْ غَيْرَ اللَّهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ أَيْ إِنِ اسْتَمَرَرْتُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ عَذَّبكم اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا مُوجعًا شَاقًا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ (١٩)

فهذا نبي الله نوح عليه السلام أول الرسل من عند الله عز وجل أرسله الله إلى قومه بدين الإسلام – دين التوحيد :عبادة الله وحده لا شريك له واتباع رسالة الله المنزلة على رسوله وأمر نوح نبي الله

(١٨) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٨٤)
(١٩) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣١٦):

أن يكون هو أول المسلمين الآخذين بالإيمان برسالة الله التي أنزلت عليه والعاملين بما فيها ومضمون هذه الرسالة ولبها وأصل ما فيها قد اختصره نوح عليه السلام وصية لبنيه حينما حضرته الوفاة تمامًا مثل ما فعل إبراهيم عليه السلام مع أبناءه ويعقوب عليه وعلى أنبياء الله الصلاة والسلام وأوصاهم باتباع الإسلام والحرص على التمسك به حتى الممات الذي هو عبادة الله الواحد القهار خالق السموات والأرض لا شريك له سبحانه وتعالى .

فقال رسول الله ﷺ: "إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا عليه السلام لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ : إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ ، آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ : آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ . وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ"(٢٠) فهذا هو دين نبي الله نوح عليه وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وبهذه الشهادة: لا إله إلا الله يدخل الناس في الإسلام وهي أعظم أركان الإسلام وهي التوحيد الخالص الذي تدعو الرسل والأنبياء قومهم إليه.

(٢٠) أخرجه الحاكم في "مستدركه" وقال صحيح الإسناد

دين نبي الله هود عليه السلام

ودعوته لقومه إلى الدخول في دين التوحيد وهو الإسلام

وها هو الله العزيز الحكيم يقص علينا في كتابه القرآن الكريم عن نبيه هود عليه السلا عند دعوته قومه للإسلام وعبادة الله الخالق ﷻ وحده لا شريك له ونبذ عبادة غيره من المخلوقين واتباع رسالة الله التي أُنزلت على هود عليه السلام من عند الله قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة هود: ٥٠].

قال ابن كثير في تفسيره : يَقُولُ تَعَالَى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا، ﴿إِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ آمِرًا لَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، نَاهِيًا لَهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ الَّتِي افْتَرَوْهَا وَاخْتَلَقُوا لَهَا أَسْمَاءَ (٢١)

قال علامة الحجاز الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره : أي: ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَى عَادٍ﴾ وهم القبيلة المعروفة في الأحقاف، من أرض اليمن، ﴿أَخَاهُمْ﴾ في النسب ﴿هُودًا﴾ ليتمكنوا من الأخذ عنه والعلم بصدقه فـ ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلا مُفْتَرُونَ﴾ أي: أمرهم بعبادة الله وحده، ونهاهم عما هم عليه، من عبادة غير الله، وأخبرهم أنهم قد افتروا على الله الكذب في عبادتهم لغيره، وتجويزهم لذلك، ووضح لهم وجوب عبادة الله، وفساد عبادة ما سواه (٢٢)

---

(٢١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٢٩)

(٢٢) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٣٨٣)

ولما كذبوا بآيات الله التي هي رسالته أهلكهم الله ﷻ قال ﷻ: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة الأعراف:٧٢].

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ، سُبْحَانَهُ، صِفَةَ إِهْلَاكِهِمْ فِي أَمَاكِنَ أُخَرَ مِنَ الْقُرْآنِ، بِأَنَّهُ أَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ، مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الْحَاقَّةُ:٦-٨] (٢٣)

فأهلكهم الله لما تولوا عن دين الإسلام دين التوحيد الخالص لله رب العالمين الذي أرسل الله به نبيه هود إليهم حتى يقبلوه ويؤمنوا به ويعملوا به وهو عبادة الله وحده خالقهم ورازقهم المنعم عليهم وترك عبادة أي شيء غيره وهذه سنة الله في خلقه أنه من أمن به وبدينه وآياته ورسالاته فله النجاة في الدنيا من المهالك والمعيشة الكريمة وفي الآخرة مصيره إلى مغفرة الله والجنة وإن من لم يؤمن بالله ولا يعبده وحده ولا يتبع الإسلام ويبغي غير الإسلام دينًا آخر فإن له الهلاك والعذاب حتى يأتي أجله وله المعيشة الضنكى في الدنيا والعذاب في الآخرة في جهنم وهذا كان عاقبة الذين كذبوا رسلهم مثل قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم .

(٢٣) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٣٥)

دين نبي الله لوط عليه السلام

الذي كان يدعو الناس إليه هو الإسلام

بعد أن أمن بالله بدعوة إبراهيم عليه السلام دعوة التوحيد والإسلام أرسله الله إلى قومه في قرية سدوم بدين الإسلام حتى يسلموا لله خالقهم ورازقهم ويعبدوه وحده لا شريك له ولا يعبدون ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا وثنا ولا صنما ولا يعبدون أي شيء غير الله ﷻ خالق السموات والأرض وأن يتبعوا شرائع الإسلام المنزلة لهم من عند الله العزيز الحكيم ويتركوا إتيان الذكران ويأتون ما خلق لهم ربهم من أزواجهم النساء ولكنهم كذبوا نبي الله لوط عليه السلام وأرادوا رجمه وهددوه بذلك إن لم ينتهي عن دعوتهم إلى الله وإلى توحيده وطاعته بترك إتيان الذكران، وإنها لفاحشة شنيعة فأهلكهم الله وأنزل عليهم عذابًا حجارة من النار ونجى الله المسلمين.

فأخبرنا الله تعالى في القرآن أنه لم يكن بهذه القرية أحد أسلم واستجاب لدعوة الإسلام مع لوط عليه السلام غير بيت واحد فقط وهو بيت لوط وأهله إلا امرأته فكانت مثل قومه فقال الله تعالى في القرآن الكريم ﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ٣٤ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٦﴾ [سورة الذاريات:٣٣-٣٦].

دين نبي الله إبراهيم عليه السلام

الذي كان يدعو إليه الناس هو الإسلام

وقد أرسل الله نبيه إبراهيم عليه السلام إلى قومه حتى يعبدوا الله وحده ويسلموا لله الواحد القهار ويتركوا عبادة غير الله ويعلموا برسالة الله التي أنزلها الله على إبراهيم نبي الله وأبو الأنبياء الذين يأتون من بعده وقد زكاه الله ﷻ بأنه كان مسلمًا ولم يكن من اليهود والنصارى الذين حرفوا دينهم الإسلام حتى أدخلوا فيه الشرك بالله والكفر. وهو لم يكن من المشركين .

قال الله ﷻ في كتابه العظيم ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [سورة آل عمران:٦٧] لما حاجت اليهود والنصارى فيه

قال ابن كثير :يُنْكِرُ تَعَالَى عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي مُحَاجَّتِهِمْ فِي إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، وَدَعْوَى كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ أَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ، كَمَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ أَوْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عباس قال: اجْتَمَعَتْ نَصَارَى نَجْرَانَ وَأَحْبَارُ يَهُودَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَنَازَعُوا عِنْدَهُ، فَقَالَتِ الْأَحْبَارُ: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا يَهُودِيًّا. وَقَالَتِ النَّصَارَى مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا نَصْرَانِيًّا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة آل عمران:٦٥]

وقال تعالى : ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [سورة البقرة: ١٣٠-١٣٢].

يَقُولُ ﷻ رَدًّا عَلَى الْكُفَّارِ فِيمَا ابْتَدَعُوهُ وَأَحْدَثُوهُ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ، الْمُخَالِفِ لِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، إِمَامِ الْحُنَفَاءِ، فَإِنَّهُ جرد تَوْحِيدَ رَبِّهِ ﷻ، فَلَمْ يَدْع مَعَهُ غَيْرَهُ، وَلَا أَشْرَكَ بِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَتَبَرَّأَ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ، وَخَالَفَ فِي ذَلِكَ سَائِرَ قَوْمِهِ، حَتَّى تَبَرَّأَ مِنْ أَبِيهِ، فَقَالَ: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ٧٨، ٧٩] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ* إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٢٦، ٢٧] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّه عَدُوٌ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التَّوْبَةِ: ١١٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* شَاكِرًا لأنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النَّحْلِ: ١٢٠ -١٢٢] ، وَلِهَذَا وَأَمْثَالِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أَيْ: عَنْ طَرِيقَتِهِ وَمَنْهَجِهِ. فَيُخَالِفُهَا وَيَرْغَبُ عَنْهَا ﴿إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أَيْ: ظَلَمَ نَفْسَهُ بِسَفَهِهِ وَسُوءِ تَدْبِيرِهِ بِتَرْكِهِ الْحَقَّ إِلَى الضَّلَالِ، حَيْثُ خَالَفَ طَرِيقَ مَنِ اصْطُفِيَ فِي الدُّنْيَا لِلْهِدَايَةِ وَالرَّشَادِ، مِنْ حَداثة سِنِّهِ إِلَى أَنِ اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلًا وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الصَالِحِينَ السُّعَدَاءِ -فَتَرَكَ طَرِيقَهُ هَذَا وَمَسْلَكَهُ وَمِلَّتَهُ وَاتَّبَعَ طُرُقَ الضَّلَالَةِ وَالْغَيِّ، فَأَيُّ سَفَهٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا؟ أَمْ أَيُّ ظُلْمٍ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا؟ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَقَتَادَةُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْيَهُودِ؛ أَحْدَثُوا طَرِيقًا لَيْسَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَخَالَفُوا ملَّة إِبْرَاهِيمَ فِيمَا أَخَذُوهُ [٢٤] وأيضاً فإن الآية تتناول النصارى فيما أحدثوه مخالفًا للتوحيد والإسلام الذي كان عليه إبراهيم أبو الأنبياء وخليل الرحمن فإن الآية الكريمة عادة في من اتخذ ملة غير ملة إبراهيم أو أحدث فيها من الشرك ما يخرجه منها، فإن الآيات الكريمات من قبل تتكلم عن اليهود والنصارى كما في قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [سورة البقرة:١٣١] وملة إبراهيم هي الإسلام الحنيف المعادي للشرك ، قال ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ أَيْ: أَمَرَهُ اللَّهُ بِالْإِخْلَاصِ لَهُ وَالِاسْتِسْلَامِ وَالِانْقِيَادِ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ شَرْعًا وَقَدَرًا، وَقَوْلُهُ: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ أَيْ: وَصَّى بِهَذِهِ الْمِلَّةِ - وَهِيَ الْإِسْلَامُ لِلَّهِ [٢٥] وفي قوله ﷻ ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [سورة البقرة:١٣٢] قال علامة الشام القاسمي: أعطاكم الدين الذي هو صفوة الأديان، وهو دين الإسلام، الذي لا دين غيره عند الله تعالى فَلا أي فتسبب عن ذلك أني أقول لكم: لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وفي هذه الجملة إيجاز بليغ. والمراد: الزموا الإسلام، ولا تفارقوه حتى تموتوا [٢٦]

وبنيه هم إسماعيل وإسحاق ويعقوب حفيد له وهم مسلمون لله كما وصاهم أبوهم نبي الله إبراهيم عليه السلام ، وكما أمرهم الله بذلك الدين جميعًا وهم أنبياء كذلك مثل أبيهم إبراهيم وعلى دينه الإسلام فقال الله تعالى في كتابه القرآن المجيد:﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ

(٢٤) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٤٥)
(٢٥) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٤٦)
(٢٦) «تفسير القاسمي = محاسن التأويل» (١/ ٤٠٣)

وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ [سورة البقرة:١٢٧-١٢٩]

فيذكر الله ﷻ قصة بناء هذا المسجد الكعبة المشرفة وهي أول مسجد وضع للناس فيخبر ﷻ أنه أمر نبيه إبراهيم وابنه نبي الله إسماعيل عليهما السلام ببناء المسجد الحرام الكعبة وأن يطهروه من أي شيء من الأرجاس والنجاسات والأقذار والشرك والكفر.

ففعل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ذلك وقاموا ببنائه وهم يسألون الله أن يثبتهم على دينه الإسلام ويجعل ذريتهما أمة مسلمة له ﷻ وأن يعرفهما بوحيه إليهم كيفية أداء عبادة الله الحج عند هذا المسجد الذي أمر إبراهيم عليه السلام ببنائه والأذان في الناس ودعوته إلى أداء ركن عظيم من أركان دين الله ألا وهو الحج عند هذا المسجد الحرام وهو أول مسجد وضع للناس ليكون علمًا دالًّا على ملة إبراهيم الحنيفية الثابتة على توحيد الله في عبادته المائلة والبعيدة عن الشرك وعبادة غير الله تعالى عما يشركون.

وقد أورد الإمام ابن كثير[٢٧] في تفسير الآية الكريمة حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي أخرجه الإمام البخاري رحمه الله ونذكر منه قصة بناء المسجد الحرام الكعبة المشرفة «ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَلَدُ بِالْوَالِدِ، وَالْوَالِدُ بِالْوَلَدِ. ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ. قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، ﷻ. قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ. قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَاهُنَا بَيْتًا -وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ

(٢٧) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٢٩)

عَلَى مَا حَوْلَهَا -قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ، فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ " قَالَ: "فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ، وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٢٨)

قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَجَاءِ بْنِ حَيَّانَ الحِصْنِي الْقُرَشِيُّ، حَدَّثَنَا مَعْقِلُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ قَالَ: مُخْلِصَيْنِ لَكَ، ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ قَالَ: مُخْلِصَةً ، وَقَالَ أَيْضًا: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنَا الْمُقَدَّمِيُّ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ، عَنْ سَلَّامِ بْنِ أَبِي مُطِيعٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ قَالَ: كَانَا مُسْلِمَيْنِ، وَلَكِنَّهُمَا سَأَلَاهُ الثَّبَاتَ

وقوله ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ يَقُولُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ تَمَامِ دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ لِأَهْلِ الْحَرَمِ -أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ، أَيْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ. وَقَدْ وَافَقَتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ الْمُسْتَجَابَةُ قَدَرَ اللَّهِ السَّابِقَ فِي تَعْيِينِ مُحَمَّدٍ -ﷺ- رَسُولًا فِي الْأُمِّيِّينَ إِلَيْهِمْ، إِلَى سَائِرِ الْأَعْجَمِينِ، مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَد: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا الْفَرَجُ، حَدَّثَنَا لُقْمَانُ بْنُ عَامِرٍ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَ أَوَّلُ بَدْءِ أَمْرِكَ؟ قَالَ: "دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى بِي، وَرَأَتْ أُمِّي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ"(٢٩) والمراد أن أول من نوه بذكره وشهره في الناس إبراهيم عليه السلام ولم يزل ذلك في الناس مذكورًا مشهورًا سائرًا حتى أفصح باسمه خاتم أنبياء بني إسرائيل نسبًا وهو عيسى ابن مريم عليه السلام حيث قام في بني إسرائيل خطيباً وقال:﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ

(٢٨) صحيح البخاري برقم (٣٣٦٤)
(٢٩) المسند (٢٦٢/٥)

يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦﴾ [سورة الصف:٦] ولهذا قال في الحديث دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ابن مريم وقوله ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، كان منامًا رأته حين حملت به وقصته على قومها فشاع فيهم واشتهر بينهم وكان ذلك توطئة وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه ونبوته ببلاد الشام ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلًا للإسلام وأهله وبها ينزل عيسى ابن مريم إذ نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها ولهذا جاء في الصحيحين: عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ (٣٠)

وفي رواية للبخاري: (وهم بالشام)(٣١) وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ يعني أمة محمد ﷺ فقيل له: استجيب لك وهو كائن في آخر الزمان وكذا قال السدي وقتادة ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ﴾، يعني القرآن (والحكمة) يعني السنة قاله السدى وقتادة ومقاتل بن حيان وأبو مالك وغيرهم وقيل: الفهم في الدين ولا منافاة (ويزكيهم) قال: يعلمهم.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَعْنِي طَاعَةَ اللَّهِ، وَالْإِخْلَاصَ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ قَالَ: يُعَلِّمُهُمُ الْخَيْرَ فَيَفْعَلُوهُ، وَالشَّرَّ فَيَتَّقُوهُ، وَيُخْبِرُهُمْ بِرِضَاهُ عَنْهُمْ إِذَا أَطَاعُوهُ وَاسْتَكْثَرُوا مِنْ طَاعَتِهِ، وَتَجَنَّبُوا مَا سَخِطَ مِنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أَيِ: الْعَزِيزُ الذِي لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْحَكِيمُ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ، فَيَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَحَالِّهَا؛ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ (٣٢)

---

(٣٠) متفق عليه

(٣١) صحيح البخاري -كتاب المناقب برقم ٣٦٤١

(٣٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٤٥)

دين نبي الله يعقوب عليه السلام

الذي كان يدعو الناس إليه هو الإسلام

وها هو نبي الله يعقوب عليه السلام الذي ينسب إليه بنى إسرائيل فإن يعقوب عليه السلام هو إسرائيل فبعدما وصاه جده إبراهيم نبي الله بالاستمساك والثبات على ملة إبراهيم وهو الإسلام حتى الموت فقد فعل هو أيضًا مثل جده إبراهيم عليه السلام ووصى هو أيضًا بنيه ومن بينهم يوسف عليه السلام نبي الله فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم فهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم عليهم وعلى أنبياء الله الصلاة والسلام جميعًا.

قال ﷻ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة البقرة:١٣٣] «يَقُولُ تَعَالَى مُحْتَجًّا عَلَى الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ أَبْنَاءِ إِسْمَاعِيلَ، وَعَلَى الْكُفَّارِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ -وَهُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عليهم السلام- بِأَنَّ يَعْقُوبَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَصَّى بَنِيهِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّغْلِيبِ لِأَنَّ إِسْمَاعِيلَ عَمُّهُ قَالَ النَّحَّاسُ: وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْعَمَّ أَبًا»(٣٣)

وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ أَيْ: نُوَحِّدُه بِالْأُلُوهِيَّةِ، وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا غَيْرُهُ ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أَيْ: مُطِيعُونَ خَاضِعُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ وسلم﴾ [آل عمران: ٨٣] وَالْإِسْلَامُ هُوَ مِلَّةُ الْأَنْبِيَاءِ قَاطِبَةً، وَإِنْ تَنَوَّعَتْ شَرَائِعُهُمْ

(٣٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٤٧)

وَاخْتَلَفَتْ مَنَاهِجُهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٢٥] . وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ وَالْأَحَادِيثُ، فَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ:"نَحْنُ مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عَلات دِينُنَا وَاحِدٌ"(٣٤)

وقال العلامة القاسمي رحمه الله في تفسير الآية: أيّ شيء تعبدونه بعد موتي، وأراد بسؤاله تقريرهم على التوحيد والإسلام، وأخذ ميثاقهم على الثبات(٣٥)

(٣٤) صحيح البخاري برقم (٣٤٤٣) من حديث أبي هريرة ¢. وأولاد العلات: هم الأخوة من الأب وأمهاتهم شتى

(٣٥) «تفسير القاسمي = محاسن التأويل» (١/ ٤٠٤)

دين نبي الله يوسف عليه السلام

الذي كان يدعو الناس إلى اتباعه في مصر إلى الإسلام

وها هو نبي الله يوسف أبن نبي الله يعقوب عليهما السلام يسئل الله سبحانه وتعالى أن يثبته على الإسلام ويتوفاه وهو على هذا الإسلام دين التوحيد الخالص، فقال الله عز وجل في كتابه القرآن الكريم :﴿۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [سورة يوسف:١٠١].

قال العلامة القاسمي رحمه الله : دعاء يوسف عليه السلام بهذا الدعاء لما تمت نعمة الله عليه باجتماعه بأبويه وإخوته وما آثره به من العلم والملك، فسأل ربه عز وجل، كما أتم عليه نعمته في الدنيا، أن يحفظها عليه باقي عمره، حتى إذا حان أجله قبضه على الإسلام، وألحقه بالصالحين (٣٦)

وقد بين الله سبحانه تعالى في كتابه القرآن العزيز الدين الذي كان يوسف يدعو إليه الناس وهو يعيش في مصر مع أهلها ، فقد كان يدعوهم إلى توحيد الله في عبادته واتباع ملة الإسلام ويبين لهم التوحيد الخالص لله وما أمرهم الله من دين الإسلام المقبول عند الله ونهاهم عما لا يرضاه الله من الشرك الذي هم عليه من عباده غير الله.

---

(٣٦) «تفسير القاسمي = محاسن التأويل» (٦/ ٢٢٢)

قال الله تعالى في كتابه القرآن العظيم عن إبلاغه ودعوته لتوحيد الله واتباع دينه ودين أبائه إبراهيم واسحاق واسماعيل ويعقوب لمن كان معه في السجن فقال تعالى﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة يوسف:٣٨-٤٠] وملة أباءه التي اتبعها هي ملة الإسلام ملة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام جميعًا ، قال الإمام ابن كثير : جَعَلَ سُؤَالَهُمَا لَهُ عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ وَالِاحْتِرَامِ وُصْلة وَسَبَبًا إِلَى دُعَائِهِمَا إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ، لِمَا رَأَى فِي سَجِيَّتِهِمَا مِنْ قَبُولِ الْخَيْرِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَالْإِنْصَاتِ إِلَيْهِ، وَلِهَذَا لَمَّا فَرَغَ مِنْ دَعْوَتِهِمَا، شَرَعَ فِي تَعْبِيرِ رُؤْيَاهُمَ(٣٧)

وقال الله ﷻ عن إرسال يوسف نبيه ورسوله بهذه البينات إلى أهل مصر عمومًا ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة غافر:٣٤]

(٣٧) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٩٠)

دين نبي الله موسى عليه السلام

الذي كان يدعو إليه قومه بني إسرائيل وأهل مصر هو الإسلام

وها هو نبي الله ﷻ موسى بن عمران عليه السلام وقد كلَّمه الله ﷻ بالواد المقدس فهو كليم الرحمن وكتب الله ﷻ له التوراة بيده واستجاب الله دعوته في أخيه هارون فجعله نبيًّا وموسى وأخيه من ذرية يعقوب عليهم السلام

وقد اختار الله موسى عليه السلام واصطفاه على الناس وأرسله هو وأخاه هارون عليه السلام إلى قومهم بني إسرائيل المقيمين في مصر حينئذٍ وإلى فرعون وقومه وكانوا يعبدون فرعون، فأرسل الله موسى وهارون له ولقومه بدين الله الإسلام الذي شرعه وفرضه على الخلق أجمعين وأيضًا أرسل الله موسى وهارون في نفس الوقت إلى قومهما بني إسرائيل وقد قص الله ﷻ علينا من نبأ موسى عليه السلام وفرعون لعنة الله ، ونبأ موسى ودعوته لقومه بني إسرائيل والذين أمنوا معه من قومه، وذكر نجاة الطائعين وهلاك الكافرين.

فقال الله ﷻ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾ [سورة يونس:٨٤] قال القاشانيّ: جعل التوكل من لوازم الإسلام، وهو إسلام الوجه لله تعالى، أي إن كمل إيمانكم ويقينكم، بحيث أثر في نفوسكم، وجعلها خالصة لله، لزم التوكل(٣٨)

فبين الله ﷻ لنا أن الدين الذي كان عليه موسى عليه السلام هو الإسلام وأنه أُرسل به من عند الله إلى قومه بني إسرائيل وكان يطالبهم بالتوكل على الله واسناد الأمر إليه ﷻ إن كانوا مسلمين

(٣٨) «تفسير القاسمي = محاسن التأويل» (٦/ ٥٤)

حقًّا ومتبعين لدين الله الإسلام صدقًا الذي جاءهم موسى عليه السلام به في أوامره وشرائعه التي فيها الهدى والهداية، وهذه دعوة موسى وأخاه هارون عليهم السلام لقومهما بعبادة الله الخالق الرازق ولم يأمرا قومهما بأي شيء غير ذلك لا بعبادة الأصنام أو الألهة الباطلة مثل العجل الذي اتخذوه حينما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه ولقد قال لهم هارون عليه السلام أنهم بذلك قد ضلوا عن الحق وبين لهم أن هذا العجل ليس بإله وإن ربهم الله جل ذكره ، ولما جاء موسى أحرق لهم هذا العجل ثم نسفه في البحر ليعلموا أن ربهم هو الله الخالق الذي لا إله إلا هو العزيز العليم الذي علمه وسع كل شيء سبحانه وتعالى، بل دعوا قومهما إلى توحيد الله عز وجل ونبذ الأنداد والآلهة الباطلة من دون الله فقال الله سبحانه وتعالى عن موسى حينما سئله قومه أن يجعل لهم إله صنمًا مثل عباد الأصنام الذين رأوهم وهم سائرون مع موسى عليه السلام بعد أن أنجاهم الله من فرعون وجنوده ، فقال الله في كتابه القرآن المجيد : ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠﴾ [سورة الأعراف:١٣٨-١٤٠] "يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا قَالَهُ جَهَلَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى، عليه السلام، حِينَ جَاوَزُوا الْبَحْرَ، وَقَدْ رَأَوْا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ مَا رَأَوْا، ﴿فَأَتَوْا﴾ أَيْ: فَمَرُّوا ﴿عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: كَانُوا مِنَ الْكَنْعَانِيِّينَ. وَقِيلَ: كَانُوا مِنْ لَخْمٍ، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: وَكَانُوا يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا عَلَى صُوَرِ الْبَقَرِ، فَلِهَذَا أَثَارَ ذَلِكَ شُبْهَةً لَهُمْ فِي عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَالُوا: ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أَيْ: تَجْهَلُونَ عَظَمَةَ اللَّهِ وَجَلَالَهُ، وَمَا يَجِبُ أَنْ يُنَزَّهَ عَنْهُ مِنَ الشَّرِيكِ وَالْمَثِيلِ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ﴾ أَيْ: هَالِكٌ ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ "[٣٩] قال العلامة الشامي القاسمي: أي عبادة الأصنام، ويذكرهم موسى عليه السلام

(٣٩) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٦٧)

نعم الله عليهم من إنقاذهم من أسر فرعون وقهره وما كانوا فيه من الهوان والذلة وما صاروا إليه من العزة الاستشفاء من عدوهم والنظر إليه في حال هوانه وهلاكه وغرقة ودماره، ولم يأمرهم أيضًا أن يتخذوا عزير إلهًا بل أمرهم بعبادة الله الواحد القهار إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون إنما حدث هذا القول بأن عزير ابن الله – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا – من جهلة بني إسرائيل لما رأوا أن عزيرا كتب التوارة من حافظته غيبًا كلها فلما رجع علماء بني إسرائيل من حرب عدوهم أخبرهم الناس بشأن عزير فاستخرجوا النسخ التي كانوا أودعوها في الجبال وقابلوها بها فوجدوا ما جاء به صحيحًا فقال بعض جهلتهم: إنما صنع هذا لأنه ابن الله، تعالى الله عز وجلعن ذلك علوًا كبيرًا فالله جل جلاله يتنزه عن الولد.

قال الله تعالى عن اليهود في كتابه العظيم القرآن الكريم : ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [سورة التوبة:٣١].

ذكر العلامة القاسمي في تفسيره قال وروى الإمام أحمد والترمذيّ وابن جرير من طرق، عن عديّ بن حاتم ﷺ أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فرَّ إلى الشام، وكان قد تنصر في الجاهلية فأُسرت أخته وجماعه من قومه، ثم منّ رسول الله ﷺ على أخته، وأعطاها، فرجعت إلى أخيها، فرغَّبته في الإسلام، وفي القدوم على رسول الله ﷺ، فقدم عديّ المدينة، وكان رئيساً في قومه طيئ، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدّث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله ﷺ، وفي عنق عديّ صليب من فضة، وهو يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَاباً مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ، قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: " " بلى إنهم حرّموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم ". وقال رسول الله ﷺ: " يا عديّ، ما تقول؟ أيضرك أن يقال: الله أكبر؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله؟ ما يضرك أن يقال: لا إله إلا الله، فهل تعلم إلهاً

غير الله؟ " ثم دعاه إلى الإسلام، فأسلم وشهد شهادة الحق " ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ " إن اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون " (٤٠)

وقد بين النبي ﷺ ان اليهود مغضوب عليهم وهذا بسبب ابتعادهم عن الدين الإسلامي الذي جاءهم به موسى وهارون عليهما السلام وابتعادهم عن شرائعه في الحلال والحرام في التوراة وعبادتهم لعلمائهم بطاعتهم في تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه الله واتباعهم في ذلك وقولهم على الله الكذب فقد قالوا أن عزيرا ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وهي قولة شنيعة في حق الله عز جل بل يداه المقدسة مبسوطتان ينفق كيف يشاء فهو سبحانه كريم على عباده أجمعين بالخير والرزق، وتحريفهم لكتاب الله التوراة، ولهذه الأسباب من الابتعاد عن الإسلام الذي أمروا به من توحيد الله والعمل بشرائعه وتحريفهم الكتاب المقدس (التوراة) غضب الله عليهم ولعنهم وحكم عليهم بالكفر والخروج من دين الإسلام وأيضًا كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق.

فهذه دعوة موسى وأخاه هارون عليهما السلام لقومهما بني إسرائيل وهي نفس الدعوى يوجهها موسى إلى فرعون وقومه يدعوهم إلى الإسلام دين رب العالمين الذي فرضه على الخلق أجمعين عربهم وعجمهم أبيضهم وأسودهم فرضه عليهم كافة بدون استثناء ويدعوهم إلى عبادة الخالق العظيم ﷻ ويدعوهم إلى توحيد الله وأتباع رسالاته وكتبه، ونبذ عبادة غير الله كفرعون الذي كان يقول لقومه ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴿٣٨﴾ [سورة القصص:٣٨] ﴿فَقَالَ أَنَاْ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ [سورة النازعات:٢٤] فما آمن لدعوة موسى عليه السلام من قوم فرعون إلا رجل من آل فرعون والسحرة الذين جاء بهم فرعون ليغلب بهم نبي الله موسى عليه السلام فما كان من شأنهم إلا أنهم لما رأو آية الله مبصرة وهي عصا موسى عليه السلام التي يلقيها فيجعلها الله القادر على كل شيء ثعبان مبين واضح فما كان من

(٤٠) «تفسير القاسمي = محاسن التأويل» (٥/ ٣٩٥)

السحرة إلا أنهم استجابوا لدعوة نبي الله موسى عليه السلام لدين الإسلام وسئلوا الله أن يثبتهم على دين موسى عليه السلام ، دين الإسلام الذي جاءهم به موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه فقال الله جلال جلاله في كتابه القرآن المجيد عن السحرة:﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [سورة الأعراف:١٢٦] أي: ما تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله، أي: وما عبته وأنكرته هو أعظم محاسننا؛ لأنه خير الأعمال، وأعظم المناقب، فلا نعدل عنه طلباً لمرضاتك ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً ﴾ أي: أفِضْ علينا صبراً واسعاً لنثبت على دينك ﴿ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ أي: ثابتين على الإسلام [٤١] وقال ابن كثير في قوله "رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أَيْ: عُمَّنَا بِالصَّبْرِ عَلَى دِينِكَ، وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ، ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ أَيْ: مُتَابِعِينَ لِنَبِيِّكَ مُوسَى" [٤٢] فقد جاءهم موسى عليه السلام بالإسلام

وها هو فرعون الذي أرسل الله موسى عليه السلام إليه ليدعوه إلى دين الله الإسلام ويؤمن بالله ويعبدوه وحده ، يقص الله علينا في كتابه العزيز أن فرعون استجاب لدعوة موسى عليه السلام لدين الإسلام والإيمان بالله إضطرارًا في وقت لا ينفع نفسًا الإسلام والإيمان فيه عندما أدركه الفرق ورأى العذاب ولكن لا تنفعه حينئذٍ ، فقد بين الله ﷻ أنه لا ينفع الإيمان حين يرى بأس الله وعذابه، سنة الله في الذين خلوا ولن تجد لها تحويلًا فقال الله ﷻ في كتابه القرآن العظيم:﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة يونس:٩٠] "وذلك أن الله أوحى إلى موسى، لما وصل البحر، أن يضربه بعصاه، فضربه، فانفلق اثنى عشر طريقًا، وسلكه بنو إسرائيل، وساق فرعون وجنوده خلفه داخلين ، فلما استكمل موسى وقومه خارجين من البحر، وفرعون وجنوده داخلين فيه،

(٤١) «تفسير القاسمي = محاسن التأويل» (٥/ ١٦٨)
(٤٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٥٩)

أمر الله البحر فالتطم على فرعون وجنوده، فأغرقهم، وبنو إسرائيل ينظرون ، حتى إذا أدرك فرعون الغرق، وجزم بهلاكه ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ وهو الله الإله الحق الذي لا إله إلا هو ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: المنقادين لدين الله، ولما جاء به موسى" (٤٣) وقال العلامة القاسمي رحمه الله "﴿ آلآنَ ﴾ أي: تؤمن وتسلم لتنجو من الغرق ﴿ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ أي: كفرت بالله من قبل الغرق، ﴿ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ أي: بالضلال والإضلال، والظلم والعتو " (٤٤)

فهذه دعوة موسى عليه السلام لدين الإسلام الذي أمره الله أن يدعو بني إسرائيل وأهل مصر إليه وإلى الدخول فيه طاعةً لله رب العالمين وإيمانًا برسالة الله إليهم وقد قص الله ﷻ علينا هذا في القرآن العظيم.

وقد أخبر الله عن قوم تبع في كتابه الكريم أنهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بدين الإسلام وكفروا بهذا الدين فأهلكم الله لعدم إيمانهم بدين الله الإسلام وعدم اتباعهم لهذا الدين وأخبر النبي محمد ﷺ أن ملكهم تبع هذا لم يكفر بالإسلام دين الله العلي الكبير بل آمن بالله ودخل الإسلام واعتنقه ودعا قومه إليه وذلك في دعوة موسى عليه السلام كليم الله التي ورثها قومه من بني إسرائيل من الأحبار وهذا يوضح لنا ويبين أن الدين الذي كان يدعو موسى عليه السلام الناس إليه إنما هو دين الإسلام والذي كان عليه بني إسرائيل من بعد موسى إلى عيسى عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام.

فقال الله تعالى : ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة الدخان:٣٧] "قَالَ تَعَالَى مُتَهَدِّدًا لَهُمْ، وَمُتَوَعِّدًا وَمُنْذِرًا لَهُمْ بَأْسَهُ الَّذِي لَا يُرَدُّ، كَمَا حَلَّ بِأَشْبَاهِهِمْ وَنُظَرَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنْكِرِينَ لِلْبَعْثِ وَكَقَوْمِ تُبَّعٍ – وَهُمْ سَبَأٌ–حَيْثُ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ وخَرَّب بِلَادَهُمْ، وَشَرَّدَهُمْ فِي الْبِلَادِ، وَفَرَّقَهُمْ شَذَرَ مَذَرَ، كَمَا تَقَدَّمَ

(٤٣) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٣٧٢)
(٤٤) «تفسير القاسمي = محاسن التأويل» (٦/ ٥٨)

ذَلِكَ فِي سُورَةِ سَبَأٍ، وَهِيَ مُصَدَّرة بِإِنْكَارِ الْمُشْرِكِينَ لِلْمَعَادِ. وَكَذَلِكَ هَاهُنَا شَبَّهَهُمْ بِأُولَئِكَ، وَقَدْ كَانُوا عَرَبًا مِنْ قَحْطَانَ كَمَا أَنَّ هَؤُلَاءِ عَرَبٌ مِنْ عَدْنَانَ، وَقَدْ كَانَتْ حِمْيَرُ -وَهُمْ سَبَأٌ- كُلَّمَا مَلَكَ فِيهِمْ رَجُلٌ سَمَّوْهُ تُبَّعًا، كَمَا يُقَالُ: كِسْرَى لِمَنْ مَلَكَ الْفُرْسَ، وَقَيْصَرُ لِمَنْ مَلَكَ الرُّومَ، وَفِرْعَوْنُ لِمَنْ مَلَكَ مِصْرَ كَافِرًا، وَالنَّجَاشِيُّ لِمَنْ مَلَكَ الْحَبَشَةَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَعْلَامِ الْأَجْنَاسِ. وَلَكِنِ اتَّفَقَ أَنَّ بَعْضَ تَبَابِعَتِهِمْ خَرَجَ مِنَ الْيَمَنِ وَسَارَ فِي الْبِلَادِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ، وَاشْتَدَّ مُلْكُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ وَجَيْشُهُ، وَاتَّسَعَتْ مَمْلَكَتُهُ وَبِلَادُهُ، وَكَثُرَتْ رَعَايَاهُ وَهُوَ الَّذِي مَصَّرَ الْحِيرَةَ فَاتَّفَقَ أَنَّهُ مَرَّ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَرَادَ قِتَالَ أَهْلِهَا فَمَانَعُوهُ وَقَاتَلُوهُ بِالنَّهَارِ، وَجَعَلُوا يَقْرُونه بِاللَّيْلِ، فَاسْتَحْيَا مِنْهُمْ وَكَفَّ عَنْهُمْ، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ حَبْرَيْنِ مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ كَانَا قَدْ نَصَحَاهُ وَأَخْبَرَاهُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُ عَلَى هَذِهِ الْبَلْدَةِ؛ فَإِنَّهَا مُهَاجَرُ نَبِيٍّ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَرَجَعَ عَنْهَا وَأَخَذَهُمَا مَعَهُ إِلَى بِلَادِ الْيَمَنِ، فَلَمَّا اجْتَازَ بِمَكَّةَ أَرَادَ هَدْمَ الْكَعْبَةِ فَنَهَيَاهُ عَنْ ذَلِكَ أَيْضًا، وَأَخْبَرَاهُ بِعَظَمَةِ هَذَا الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ مِنْ بِنَايَةِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَأَنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ عَلَى يدي ذَلِكَ النَّبِيِّ الْمَبْعُوثِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَعَظَّمَهَا وَطَافَ بِهَا ، وَكَسَاهَا الْمِلَاءَ وَالْوَصَائِلَ وَالْحَبِيرَ. ثُمَّ كَرَّ رَاجِعًا إِلَى الْيَمَنِ وَدَعَا أَهْلَهَا إِلَى التَّهَوُّدِ مَعَهُ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ دِينُ مُوسَى، عليه السلام، فِيهِ مَنْ يَكُونُ عَلَى الْهِدَايَةِ قَبْلَ بَعْثَةِ الْمَسِيحِ، عليه السلام، فَتَهَوَّدَ مَعَهُ عَامَّةُ أَهْلِ الْيَمَنِ .

"قال النبي ﷺ: لَا تَسُبُّوا تُبَّعًا ؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَسْلَمَ " (٤٥) وإسلامه هذا إنما كان متابعة لدين موسى عليه السلام بني إسرائيل على يد الأحبار وهذا يوضح أن الدين الذي جاء به موسى ودعا الناس إليه هو ومن بعده إنما هو دين الإسلام.

(٤٥) (رواه أحمد وصححه الألباني- الجامع الصغير ٥٧٣١٩)

مزاعم وبدع عند أصحاب ضلالة

توحيد الأديان الثلاثة ومساواتها

وموسى عليه السلام لم يبعثه الله بديانة يهودية ولا نصرانية بل بعثه الله ﷻ بدين الإسلام الذي ليس لله دين غيره ولا يقبل الله غير دينه هذا وأما من ظن أو زعم أن موسى عليه السلام نبي الله جاء باليهودية (وهو جاهل لا يعلم) وهو يظن أن قول موسى عليه السلام في القرآن في سورة الأعراف ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [سورة الأعراف:١٥٦] دليل على ما يظن فهو لا يعلم تفسير ومعنى هذه الآية الكريمة أو يظن أنها دليل على صحة ما عليه اليهود اليوم أو اليهودية أو يظن ذلك أيضًا في قول الله ﷻ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المائدة:٤٤] وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة البقرة:٦٢] وقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ

ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ [سورة الحج: ٤٠].

فهذه ظنون باطلة وتأويلات فاسدة لا دليل عليها وحينما نأتي بتفسير هذه الآيات الكريمات من أقوال آئمة التفسير سوف يتبين لنا فساد هذه الظنون والمعتقدات الباطلة المنافية لما في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

أولًا: الرد على زعمهم أن في قول موسى عليه السلام نبي الله حجة في صحة الديانة اليهودية وهو قول: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ أي: تبنا إليك. يقال: هاد إليه يهود، إذا رجع وتاب، فهو هائد.

ولبعضهم:

يا راكب الذنب هُدْ، هُدْ واسجد كأنك هُدْهُدْ

وقال آخر:

إني أمرؤ مما جَنَيْتُ هَائِدُ

قال العلامة السعدي في تفسيره لقوله ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: رجعنا مقرين بتقصيرنا، منيبين في جميع أمورنا (٤٦)

أي نفس معنى التوبة وإنما عرفوا بتوبة واشتق لهم اسمهم من التوبة لما تابوا بعد ما اتخذوا العجل وعبدوه فحثهم موسى عليه السلام وأمرهم بالتوبة من عبادة العجل فقال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ [سورة البقرة: ٥٤] ولكن كانت توبة من نجا من القتل توبة

(٤٦) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٣٠٥)

غير نصوح، فقد أخبر الله ﷻ في كتابه القرآن العظيم أنهم قالوا: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة البقرة:٩٣]

قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المائدة:٤٤] هذا الرد على زعمهم أن في الآية دليل على أن اليهودية دين من عند الله فهذه أقوال أهل العلم من المفسرين لنعلم معنى الآية الكريمة صحيحًا

قال القاسمي في تفسيره :﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى ﴾ أي: إرشادٌ إلى الحق ﴿ وَنُورٌ ﴾ أي: إظهار لما انْبَهَمَ من الأحكام ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ﴾ من بني إسرائيل ﴿ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ ﴾ أي: الذين كانوا مسلمين من لدن موسى إلى عيسى عليهما السلام. وسنذكر سرّ هذه الصفة ﴿ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ وهم اليهود. و (هاد) بمعنى: تاب ورجع إلى الحق (٤٧)

قلت: وبالجملة فإن المعنى العام للآية الكريمة أن الله أنزل التوراة على موسى عليه السلام وفيها شرائع دين الله الإسلام هداية إلى الحق ونور يعصم من الضلالة والشكوك والشبهات حتى يعمل بما فيها موسى عليه السلام نبي الله ويأمر قومه بالعمل بها وهذه وظيفة الأنبياء عليهم السلام الذين يأتون من بعده فهم يعملون بكتاب الإسلام التوراة في زمنهم ويحكمون به في بني إسرائيل للذين هادوا أي

(٤٧) «تفسير القاسمي = محاسن التأويل» (٤/ ١٤٤)

تابوا فهؤلاء النبيون الذين أسلموا يعملون بكتاب موسى عليه السلام ويحكمون بشرائع كتاب موسى وهو التوراة فهم تابعون لدين موسى عليه السلام ألا وهو الإسلام الذي بلغه موسى عليه السلام لقومه في مصر ونطق به سحرة فرعون حينما آمنوا بموسى عليه السلام ونطق به فرعون نفسه في وقت لا ينفعه فهو دين واحد دين جميع الرسل والأنبياء، دين موسى عليه السلام ودين الأنبياء من بعده حتى عيسى عليه السلام وسيأتي إن شاء الله تفصيل ذلك.

جاء في تفسير السعدي رحمه الله في تفسير قوله : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ﴾ على موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام . ﴿فِيهَا هُدًى﴾ يهدي إلى الإيمان والحق، ويعصم من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ يستضاء به في ظلم الجهل والحيرة والشكوك، والشبهات والشهوات، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿يَحْكُمُ بِهَا﴾ بين الذين هادوا، أي: اليهود في القضايا والفتاوى ﴿النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ لله وانقادوا لأوامره، الذين إسلامهم أعظم من إسلام غيرهم، وهم صفوة الله من العباد. فإذا كان هؤلاء النبيون الكرام والسادة للأنام قد اقتدوا بها وائتموا ومشوا خلفها، فما الذي منع هؤلاء الأراذل من اليهود من الاقتداء بها؟ وما الذي أوجب لهم أن ينبذوا أشرف ما فيها من الإيمان بمحمد ﷺ، الذي لا يقبل عمل ظاهر وباطن، إلا بتلك العقيدة؟ هل لهم إمام في ذلك؟ نعم لهم أئمة دأبهم التحريف، وإقامة رياستهم ومناصبهم بين الناس، والتأكل بكتمان الحق، وإظهار الباطل، أولئك أئمة الضلال الذين يدعون إلى النار (٤٨)

قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة البقرة:٦٢].

قَالَ السُّدِّيُّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ الْآيَةَ: نَزَلَتْ فِي أَصْحَابِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، بَيْنَا هُوَ يُحَدِّثُ النَّبِيَّ ﷺ إِذْ ذَكَرَ

(٤٨) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٢٣٢)

أَصْحَابَهُ، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُمْ، فَقَالَ: كَانُوا يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيُؤْمِنُونَ بِكَ، وَيَشْهَدُونَ أَنَّكَ سَتُبْعَثُ نَبِيًّا، فَلَمَّا فَرَغَ سَلْمَانُ مِنْ ثَنَائِهِ عَلَيْهِمْ، قَالَ لَهُ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: "يَا سَلْمَانُ، هُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ". فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى سَلْمَانَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، فَكَانَ إِيمَانُ الْيَهُودِ: أَنَّهُ مَنْ تَمَسَّكَ بِالتَّوْرَاةِ وَسُنَّةِ مُوسَى، عليه السلام؛ حَتَّى جَاءَ عِيسَى. فَلَمَّا جَاءَ عِيسَى كَانَ مَنْ تَمَسَّكَ بِالتَّوْرَاةِ وَأَخَذَ بِسُنَّةِ مُوسَى، فَلَمْ يَدَعْهَا وَلَمْ يَتْبَعْ عِيسَى، كَانَ هَالِكًا. وَإِيمَانُ النَّصَارَى أَنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِالْإِنْجِيلِ مِنْهُمْ وَشَرَائِعِ عِيسَى كَانَ مُؤْمِنًا مَقْبُولًا مِنْهُ حَتَّى جَاءَ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَمَنْ لَمْ يتبعْ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْهُمْ ويَدَعْ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُنَّةِ عِيسَى وَالْإِنْجِيلِ -كَانَ هَالِكًا ، وَقَالَ ابْنُ أَبِي حاتم: وروي عن سعيد بن جبير نحو هَذَا (٤٩)

قال الإمام العلامة القاسمي رحمه الله في تفسيره بعد ما نقل قول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله في الصابئين بأنهم كانوا متبعون لملة إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء قبل نزول التوراة والإنجيل ثم قال القاسمي : "وما قرره الإمام ابن تيمية، يؤيد ما ذهب إليه كثير من المفسرين، من أن معنى قوله تعالى مَنْ آمَنَ من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ، مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد، عاملا بمقتضى شرعه، وذلك كأهل الكتابين أو كان من الصابئة الموحدين " (٥٠)

قال العلامة السعدي في تفسيره "والصحيح أن هذا الحكم بين هذه الطوائف، من حيث هم، لا بالنسبة إلى الإيمان بمحمد، فإن هذا إخبار عنهم قبل بعثة محمد ﷺ وأن هذا مضمون أحوالهم، وهذه طريقة القرآن إذا وقع في بعض النفوس عند سياق الآيات بعض الأوهام، فلا بد أن تجد ما يزيل ذلك الوهم، لأنه تنزيل مَنْ يعلم الأشياء قبل وجودها، ومَنْ رحمته وسعت كل شيء.وذلك والله أعلم – أنه لما ذكر بني إسرائيل وذمهم، وذكر معاصيهم وقبائحهم، ربما وقع في بعض النفوس أنهم كلهم يشملهم الذم، فأراد الباري تعالى أن يبين من لم يلحقه الذم منهم بوصفه، ولما كان أيضا ذكر بني إسرائيل خاصة يوهم الاختصاص بهم. ذكر تعالى حكما عاما يشمل

(٤٩) «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (١/ ٢٨٤)
(٥٠) «تفسير القاسمي = محاسن التأويل» (١/ ٣٢٠)

الطوائف كلها، ليتضح الحق، ويزول التوهم والإشكال، فسبحان من أودع في كتابه ما يبهر عقول العالمين (٥١)

وقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [سورة الحج: ٤٠])، فإن الآية الكريمة تفسر بالآية الكريمة التي قبلها في سورة البقرة وهو أن الله في كل زمان يدفع الكافرين بالمؤمنين في هذا الزمن أو ذلك العصر حتى لا يتمكن الكافرون في كل حقبة من المسلمين المؤمنين بهدم دور عبادتهم وليست هذه الآية تتحدث عن زمن النبي محمد ﷺ ولكن الآية الكريمة توضح ذلك قال تعالى : ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾ [سورة البقرة: ٢٥١].

(٥١) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٥٤)

جميع أنبياء بني إسرائيل من بعد نبي الله موسى عليه السلام

مسلمون يدعون إلى دين الله الإسلام

وقد أوردنا الدليل على هذا من قبل وهو الآية الكريمة في سورة المائدة فقال الله ﷻ في كتابه القرآن العظيم: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [سورة المائدة:٤٤] فجميع أنبياء بنى إسرائيل مسلمون من أول موسى عليه السلام إلى عيسى ابن مريم أسلموا لله رب العالمين ويحكمون بكتاب التوراة في قومهم الذين تابوا إلى الله

دين نبي الله سليمان وأبوه نبي الله داود عليهما السلام

ودعوتهما وجهادهما في سبيل نشر الإسلام

وها هو القرآن العظيم يفصل لنا ذلك فقد قص الله لنا عن بعض أنبياء بني إسرائيل من بعد نبي الله يوسف ابن نبي الله يعقوب وهو إسرائيل عليه السلام ومن بعده نبي الله موسى بن عمران عليه السلام ألا وهو نبي الله سليمان بن نبي الله داود عليه السلام فقد أخبرنا الله عن الدين الذي كان يدين لله به ويتعبد به لله ويعتنقه ويدعو الناس إليه بل كان يحاربهم إن رفضوا الدخول في الإسلام ويجاهدهم في سبيل الله، وقد أعطاه الله ﷻ جنود من الإنس والجن والطير، وأيضًا سخر له الريح من أجل نشر دين الإسلام ودعوة الناس إليه وجهادهم إن أبوا الدخول فى هذا الدين العظيم.

لقد أورث الله سليمان أباه داود عليه السلام في النبوة والدعوة إلى الإسلام والجهاد في سبيل نشره، فقال الله ﷻ في كتابه القرآن الكريم: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ

مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة النمل:١٦-٣١] وهذه دعوة سليمان عليه السلام نبي الله إلى الناس الذين هم على دين غير دين الإسلام، فأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ولما علم سليمان عليه السلام من الهدهد أنهم على غير الإسلام أرسل إليهم كتابًا يأمرهم ويدعوهم أن يأتوا إليه مسلمين موحدين الله تعالى.

﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾"قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مُوَحِّدِينَ. وَقَالَ غَيْرُهُ: مُخْلِصِينَ. وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: طَائِعِينَ"(٥٢)

ولما رأى سليمان أن هؤلاء الكفار البعيدين عن الإسلام والحق أنهم يريدون أن يصرفوه ويسكتوه عن دينهم الباطل والكفر الذي هم عليه وأن يسكتوه عن دعوتهم إلى دين الإسلام بهدية فهددهم نبي الله سليمان بإتيانهم بجنود لا قدرة لهم على صدهم وأنه سوف يخرجهم من أرضهم أذلة وهم صاغرون وذلك إن لم يأتوا إليه موحدين مسلمين.

(٥٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٨٩)

قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۡۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾ [سورة النمل:٣٦-٣٧] قال ابن كثير في تفسيره " أَيْ: أَنْتُمُ الَّذِينَ تَنْقَادُونَ لِلْهَدَايَا وَالتُّحَفِ، وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَقْبَلُ مِنْكُمْ إِلَّا الْإِسْلَامَ أَوِ السَّيْفَ "(٥٣)

قال ﷻ عن سليمان عليه السلام ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ٤٢﴾ [سورة النمل:٤٢] قال القاسمي : " وقوله تعالى: ﴿ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴾ هذا من تمام كلام سليمان عليه السلام، شكراً لله على فضلهم عليها، وسبقهم إلى العلم بالله وبالإسلام. أي: وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته "(٥٤)

وقد بين لنا الله ﷻ دين أنبياء بني إسرائيل وأنهم كانوا يدعون الناس إلى الإسلام دين الله الوحيد الذي ليس عند الله دين يقبله من العباد أجمعين إلا هذا الدين الحنيف البعيد عن الشرك وعبادة غير الله الواحد القهار قال ﷻ: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤﴾ [سورة النمل:٤٤] "وَالْغَرَضُ أَنَّ سُلَيْمَانَ، عليه السلام، اتَّخَذَ قَصْرًا عَظِيمًا مَنِيفًا مِنْ زُجَاجٍ لِهَذِهِ الْمَلِكَةِ؛ لِيُرِيَهَا عَظَمَةَ سُلْطَانِهِ وَتَمَكُّنِهِ، فَلَمَّا رَأَتْ مَا آتَاهُ اللَّهُ، تَعَالَى، وَجَلَالَةَ مَا هُوَ فِيهِ، وَتَبَصَّرَتْ فِي أَمْرِهِ انْقَادَتْ لِأَمْرِ اللَّهِ وعَرَفت أَنَّهُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ، وَمَلِكٌ عَظِيمٌ، فَأَسْلَمَتْ لِلَّهِ، ﷻ، وَقَالَتْ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أَيْ: بِمَا سَلَفَ مِنْ كُفْرِهَا

(٥٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٩١)

(٥٤) «تفسير القاسمي = محاسن التأويل» (٧/ ٤٩٣)

وَشِرْكِهَا وَعِبَادَتِهَا وَقَوْمِهَا الشَّمْسَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَيْ: مُتَابَعَةً لِدِينِ سُلَيْمَانَ فِي عِبَادَتِهِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا"(٥٥)

وهذه هي صفة دعوة نبي الله سليمان عليه السلام وماهية دينه كما قال الله تعالى في كتابه القرآن العظيم، وهذا نبي الله داود عليه السلام والد نبي الله سليمان عليه السلام، فإن دينه الإسلام وكان يدعو إلى الإسلام فقد أورث الله سليمان أباه نبي الله داود في الدين والنبوة والكتاب وهو التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام يحكم بها للذين هادوا، أي تابوا من بني إسرائيل فكل هذا الذي كان فيه سليمان عليه السلام من الدين والعبادة والنبوة والدعوة إلى دين الله الإسلام والجهاد في سبيل نشر الإسلام إنما أخذه عن أبيه نبي الله داود عليه السلام فقد قال الله تعالى عن ذلك في كتابه القرآن العزيز:﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [سورة النمل:١٥-١٦] "يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَى عَبْدَيْهِ وَنَبِيَّيْهِ دَاوُدَ وَابْنِهِ سُلَيْمَانَ، عَلَيْهِمَا مِنَ اللَّهِ السَّلَامُ، مِنَ النِّعَمِ الْجَزِيلَةِ، وَالْمَوَاهِبِ الْجَلِيلَةِ، وَالصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ، وَمَا جَمَعَ لَهُمَا بَيْنَ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْمُلْكِ وَالتَّمْكِينِ التَّامِّ فِي الدُّنْيَا، وَالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ فِي الدِّينِ"(٥٦) وقال رحمه الله في تفسير قوله ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [سورة النمل:١٩] "أَيْ: أَلْهِمْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي مَنَنْتَ بِهَا عَلَيَّ، مِنْ تَعْلِيمِي مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانِ، وَعَلَى وَالِدَيَّ بِالْإِسْلَامِ لَكَ، وَالْإِيمَانِ بِكَ"(٥٧)

(٥٥) «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٩٧)
(٥٦) «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٨١)
(٥٧) «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٨٣)

وهذه الآية الكريمة تدل على أن دين سليمان عليه السلام نبي الله الإسلام ،وهو دين نبي الله داود عليه السلام وقد كانا يعيشان سويا في بلدة واحدة وفي زمن واحد ومعلوم أن سليمان عليه السلام الابن لا يدين بدين يخالف دين أباه داود عليه السلام أو يتخذ دينا غير دينه بل كانا على ملة واحدة وهي ملة الإسلام وهي ملة الأنبياء جميعًا من قبلهم ومن بعدهم إلى قيام الساعة وكانا يحكمان في القضايا في مجلس واحد سويا وهما يحكمان بما في التوراة كما بين الله عز وجل في سورة المائدة فقال جل جلاله:﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ [سورة المائدة:٤٤] وقال عز وجل ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨﴾ [سورة الأنبياء:٧٨] وقد أنزل الله عز وجل على داود كتابًا مقدسًا وهو الزبور وقد كتب الله جل جلاله في الزبور أن الأرض يرثها عباد الله الصالحين أي الموحدين الذين يعبدون الله وحده ولا يشركون به شيئًا وهو مضمون دين الإسلام ومعناه ولبه وغايته عبادة الله وحده وعدم الإشراك به وهذه حياة النبيين الكريمين داود وسليمان عليهما السلام وهذه دعوتهما إلى توحيد الله تعالى وهذا دينهما كما قص الله علينا في كتابه القرآن العظيم فما من نبي دعا إلى عبادة عزيز ولا إلى عبادة العجل ولا إلى عبادة عيسى ابن مريم وأمه بل كانوا يدعون الناس إلى الإسلام وعبادة الله الواحد الأحد الذي لم يكن له ندا ولا صاحبة ولا ولدا.

دين نبي الله يونس ابن متى عليه السلام
ودعوته الناس للإسلام والتوحيد

وها هو نبي الله يونس بن متى عليه السلام من ذرية إبراهيم عليه السلام كان مسلمًا ولم يكن من المشركين وأرسله الله إلى قرية "نينوى" بدين الإسلام حتى يدعوهم إلى الإسلام الذي هو توحيد الإله ﷻ، فلما رأى عدم استجابة منهم لدعوة الإسلام التي دعاهم إليها خرج من بينهم مغاضبًا لهم وقد ظن أن الله لا يأخذه على هذا الخروج من غير إذن من الله فحدثت القصة التي قصها الله علينا في كتابه القرآن الحكيم من ركوبة البحر وهيجان البحر به وهو في الفلك ثم جاءت القرعة عليه حينما استهموا ليرموا أحد ركاب الفلك ليخف وزنها لتنجو بمن فيها من الغرق فكانت القرعة تخرج عليه فى كل مرة ، فألقى بنفسه في البحر فلتقمه الحوت ودخل به في البحر ثم دعا يونس عليه السلام ربه ﷻ بما أمره أن يعمل به ويدعو الناس إليه من توحيد الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. فقال يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت داخل ظلمات البحر بدعوة الحق فقال: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فأخرجه الله من هذه الظلمات في البحر ومن بطن الحوت إلى البر وأنبت عليه شجرة من القرع ، ونبي الله يونس عليه السلام مشهور بذى النون أي صاحب الحوت الذي ابتلعه فقال الله ﷻ في كتابه المجيد: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [سورة الصافات:١٣٩] ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا

وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [سورة الأنعام:٨٣-٨٦] فهو من أنبياء بني إسرائيل وقال الله ﷻ ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة الأنبياء:٨٧] وقد أخبرنا الله أنه قد آتى ذرية إبراهيم من النبيين والمرسلين الكتاب والحكمة والملك وأن يونس ابن متى نبي الله من ذرية إبراهيم ومن الذين أوتوا الكتاب والحكمة فقال الله ﷻ في القرآن الحكيم ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [سورة النساء:٥٤]

قال الإمام ابن كثير في تفسير القرآن العظيم نقلًا عن رواية الإمام الطبراني "قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَحْنُ النَّاسُ دُونَ النَّاسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ أَيْ: فَقَدْ جَعَلْنَا فِي أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ النُّبُوَّةَ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ، وَحَكَمُوا فِيهِمْ بِالسُّنَنِ هِيَ الْحِكْمَةُ وَجَعَلَنَا فِيهِمُ الْمُلُوكَ"(٥٨)

(٥٨) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٣٦)

دين نبي الله يحيى وأباه زكريا عليهما السلام
ودعوتهما للناس إلى الإسلام دين التوحيد

كان يحيى وزكريا عليهما السلام يعبدان الله وحده ﷻ ولا يدعوان غير الله عزوجل وذلك هو معنى الإسلام ولبه الذي أرسل به الأنبياء جميعًا.

فقال الله ﷻ في كتابه القرآن المجيد :﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة آل عمران:٣٨-٣٩].

وقد أوحى الله إلى نبيه محمد ﷺ من أخبار يحيى نبي الله ابن زكريا نبي الله ونبي الله عيسى ابن مريم عليهم السلام جميعًا من حيث دعوتهم لبني إسرائيل وما كانوا يدينون به لله من الدين ويأمرون الناس به من دين التوحيد الحنيف ، "عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ : إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ ، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ ، فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ بِهِنَّ ، فَأَتَاهُ عِيسَى فَقَالَ : إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ ، وَيَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ ، فَإِمَّا أَنْ تُخْبِرَهُمْ ، وَإِمَّا أَنْ أُخْبِرَهُمْ ، فَقَالَ : يَا أَخِي ، لَا تَفْعَلْ ، فَإِنِّي أَخَافُ إِنْ تَسْبِقْنِي بِهِنَّ أَنْ يُخْسَفَ بِي ، أَوْ أُعَذَّبَ . قَالَ : فَجَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدَ ، وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرُفَاتِ ، ثُمَّ خَطَبَهُمْ فَقَالَ : إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ ، وَآمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ : أَوَّلُهُنَّ : أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا ؛ فَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ

رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ ، بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ ، ثُمَّ أَسْكَنَهُ دَارًا ، فَقَالَ : اعْمَلْ وَارْفَعْ إِلَيَّ ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيَرْفَعُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ ؟ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ ، فَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَإِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَلَا تَلْتَفِتُوا ؛ فَإِنَّ اللهَ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ إِلَى وَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ "(٥٩)

فإن الذي أمر به يحيى نبي الله وأراد عيسى بن مريم نبي الله أن يبلغه لبنى إسرائيل هو الإسلام ومضمونه ولبه وكل شرائعه هو توحيد الله ﷻ وعدم عبادة غيره ، وقد أخبرنا الله ﷻ في كتابه القرآن العظيم أن زكريا دعا الله أن يهب له يحيى حتى يرثه في الدين والنبوة ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة آل عمران:٣٨] ويكون مثل زكريا ؟ في الدين والنبوة، وهذا يدل على أن دين نبي الله زكريا عليه السلام إنما كان الإسلام الذي ورثه ابنه نبي الله يحيى عليه السلام جميعًا فدعا الله أن يهب له ابنًا يرث النبوة مثله ويحمل لواء هذا الدين الحنيف دين التوحيد قال الله ﷻ في كتابه المجيد ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾ [سورة مريم:٦] "وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ: يَرِثُ نُبُوَّتَهُ وَعِلْمَهُ ، وَقَالَ السُّدِّي: يَرِثُ نُبُوَّتِي وَنُبُوَّةَ آلِ يَعْقُوبَ، وَعَنْ مَالِكٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ قَالَ: نُبُوَّتَهُمْ (٦٠)

ومعلوم كما أسلفنا أن يعقوب نبي الله كان مسلمًا كما أمره الله وكما وصاه جده إبراهيم نبي الله عليه السلام فقال الله تعالى:﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [سورة البقرة:١٣٢] ووصى أيضًا

---

(٥٩) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (١ / ٥٣٩) برقم: (٤٨٣) وابن حبان في "صحيحه" (١٤ / ١٢٤) برقم: (٦٢٣٣) والحاكم في "مستدركه" (١ / ١١٧) برقم: (٤٠٣)

(٦٠) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢١٣)

يعقوب بنيه بنفس الملة الحنيفية حين الموت فقال الله تعالى ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة البقرة:١٣٣] فها هو نبي الله يعقوب عليه السلام مسلمًا حنيفًا ولم يكن من المشركين، وقد طلب نبي الله زكريا عليه السلام من الله أن يهب الله له ولدًا يرثه ويرث يعقوب عليه السلام الذي كان مسلمًا حنيفًا ولم يكن من المشركين فإن زكريا عليه السلام أيضا ورث نبوة آل يعقوب الذي كان نبيًا مسلمًا وارثًا هذا كله أيضًا من جده إبراهيم عليه السلام نبي الله وخليل الرحمن إمام المسلمين الحنفاء.

من هو عيسى ابن مريم عليه السلام؟

وها هو نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام كان حنيفًا مسلمًا ولم يكن من المشركين وكان آخر نبي في بني إسرائيل أي من ذرية يعقوب عليه السلام، أرسله الله إلى بني إسرائيل حتى يعبدوا الله وحده لا شريك له ويتركوا أقوالهم الشركية مثل قولهم: عزير ابن الله – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ، وأرسل الله عيسى عليه السلام إليهم بالحكمة وحل بعض الذي حُرِّم، وآتاه الله ﷻ الإنجيل فيه هدى ونور مصدقًا للتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام ومبشرًا بالنبي محمد ﷺ من ولد نبي الله إسماعيل عليه السلام وهو خاتم النبيين أجمعين عليهم الصلاة والسلام ، وقد جعل الله عيسى آية ومعجزة هو وأمه حتى يعلم الناس كمال قدرة الله على الخلق من غير أب ولا أم فإن الله خلق آدم أبو البشر من غير أب ولا أم وخلق حواء من أب بلا أم وخلق عيسى عليه السلام من أم بلا أب وخلق الناس جميعًا من أب وأم فهو سبحانه قادر على كل شيء والله ﷻ أخبرنا في كتابه الكريم أن مثل عيسى عليه السلام عند الله كمثل آدم أبو البشر الذي خلقه الله من تراب من غير أب ولا أم وأحياه الله من بعد ما كان ترابًا ميتًا لا حياة فيه فقال الله جل ذكره في كتابه القرآن العظيم:﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران:٥٩]

"﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَلَا أُمٍّ، بَلْ ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وَالَّذِي خَلَقَ آدَمَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ عِيسَى بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَالْأَحْرَى، وَإِنْ جَازَ ادِّعَاءُ الْبُنُوَّةِ فِي عِيسَى بِكَوْنِهِ مَخْلُوقًا مِنْ غَيْرِ أَبٍ، فَجَوَازُ ذَلِكَ فِي آدَمَ بِالطَّرِيقِ الْأَوْلَى، وَمَعْلُومٌ بِالِاتِّفَاقِ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ، فَدَعْوَاهَا فِي عِيسَى أَشَدُّ بُطْلَانًا وَأَظْهَرُ فَسَادًا. وَلَكِنَّ الرَّبَّ، ﷻ، أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ قُدْرَتَهُ لِخَلْقِهِ، حِينَ خَلَقَ آدَمَ

لَا مِنْ ذَكَرٍ وَلَا مِنْ أُنْثَى؛ وَخَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أُنْثَى، وَخَلَقَ عِيسَى مِنْ أُنْثَى بِلَا ذَكَرٍ كَمَا خَلَقَ بَقِيَّةَ الْبَرِيَّةَ مَنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ [مَرْيَمَ: ٢١] "[٦١]

أي جعلنا عيسى علامة للناس ودليل على كمال قدرة الله على خلق الإنسان بأصليه وهما الأب والأم وبدون أحدهما الأب أو الأم مثل عيسى وحواء ويقدر أن يخلق بدون الأصلين الأب والأم مثل آدم أبو البشر.

(٦١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٩)

دين عيسى ابن مريم عليه السلام هو الإسلام

الذي دعا بني إسرائيل إلى اتباعه

فقال الله ﷻ في كتابه العزيز عن دين عيسى عليه السلام الذي كان يدعو بني إسرائيل إليه وإلى اتباعه واعتناقه والرجوع إليه كما كان أسلافهم من بني إسرائيل الذين اتبعوا موسى وهارون وداود وسليمان ويونس وزكريا ويحيى عليهم الصلاة والسلام جميعًا ، الذين اتبعوهم على دين الإسلام، فهو يدعوهم إلى اتباع دينهم الحق الذي أرسلت به الرسل وترك ما طرأ عليهم من الشرك بالله في عبادته ويدعوهم إلى اتباع دينهم الحق الذي أرسلت به الرسل وترك ما طرأ عليهم من الشرك بالله في عبادة ويدعوهم إلى اتباع رسالة الله وما أنزل الله لهم فيها وهي الإنجيل وهذا التحليل لبعض الذي حرم عليهم في التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام فقال الله ﷻ في القرآن العظيم عن عيسى أنه قال لقومه:﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ * فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة آل عمران:٥١-٥٢] فإن دين عيسى عليه السلام الذي كان يدعو بني إسرائيل إلى اتباعه واعتناقه هو الإسلام كما رأينا من أنصاره ههنا الإيمان والدخول فيما دعاهم إليه عيسى عليه السلام ألا وهو الإسلام الذي هو دين الأنبياء جميعاً من أولهم إلى آخرهم .

قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [سورة المائدة:١١١] قال علامة الحجاز السعدي في

تفسيره "أي: واذكر نعمتي عليك إذ يسرت لك أتباعا وأعوانا. فأوحيت إلى الحواريين أي: ألهمتهم، وأوزعت قلوبهم الإيمان بي وبرسولي، أو أوحيت إليهم على لسانك، أي: أمرتهم بالوحي الذي جاءك من عند الله، فأجابوا لذلك وانقادوا، وقالوا: آمنا بالله، واشهد بأننا مسلمون، فجمعوا بين الإسلام الظاهر، والانقياد بالأعمال الصالحة، والإيمان الباطن المخرج لصاحبه من النفاق ومن ضعف الإيمان"(٦٢)

وقد روي عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- "قَالَ : إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ ، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ ، فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ بِهِنَّ ، فَأَتَاهُ عِيسَى فَقَالَ : إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ ، وَيَأْمُرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ ، فَإِمَّا أَنْ تُخْبِرَهُمْ ، وَإِمَّا أَنْ أُخْبِرَهُمْ ،فَقَالَ : يَا أَخِي ، لَا تَفْعَلْ ، فَإِنِّي أَخَافُ إِنْ تَسْبِقْنِي بِهِنَّ أَنْ يُخْسَفَ بِي ، أَوْ أُعَذَّبَ . قَالَ : فَجَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدَ ، وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرُفَاتِ ، ثُمَّ خَطَبَهُمْ فَقَالَ : إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ ، وَآمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ : أَوَّلُهُنَّ : أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا ؛ فَإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ ، بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ ، ثُمَّ أَسْكَنَهُ دَارًا ، فَقَالَ : اعْمَلْ وَارْفَعْ إِلَيَّ ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيَرْفَعُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ ؟ فَإِنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ ، فَلَا تُشْرِكُوا بِهِ "(٦٣)

فإن الله أمر نبيه عيسى ابن مريم عليه السلام أن يبلغ الكلمات الخمس إذ لم يبلغهن يحيى نبي الله ابن نبي الله زكريا وكانت أولى هذه الكلمات كما في الحديث هي عبادة الله الواحد القهار وإخلاص هذه العبادة له وحده لا شريك له وهذا هو الإسلام وهذه هي دعوة الإسلام ولبه وظاهره ألا وهو توحيد الله عز وجل في عبادته وعدم عباد غيره ولو كان رسولا مرسلا أو ملكا مقربا بل التبرء من أي شيء يُعبد من دونه سبحانه وتعالى وهذا الذي أرسل الله به الرسل عليهم السلام جميعًا للناس منذ آدم أبو

(٦٢) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٢٤٨)
(٦٣) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (١ / ٥٣٩) برقم: (٤٨٣)

البشـر عليه السلام إلى يوم القيامة ولا يقبل الله من العباد غير هذا الدين دين توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وهو دين الإسلام دين الأنبياء جميعًا إلى قيام الساعة.

فالدين الذي دعا إليه الناس يوم أرسـله الله إلى بني إسـرائيل هو الدين الذي سـيدعو الناس إليه عند نزوله دين نبينا محمد ﷺ ودين الأنبياء جميعًا وقد نجاه الله من كفار بني إسرائيل الذين كفروا بما أرسـل به وأراد وقتله، ولكن الله ﷻ نجاه منهم ورفعه إليه وحفظه منهم ومما أرادوه له من القتل والصلب.

فقال الله ﷻ في كتابه العظيم قال ﷻ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [سورة النساء:١٥٧-١٥٨] وقال رسول الله محمد ﷺ مبينا دين عيسى ابن مريم عليه السلام الذي يدعو الناس إلى اتباعه عندما ينزله الله إلى الأرض قُبيل يوم القيامة، "قال رَسُولَ اللهِ ﷺ:أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ وَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ "(٦٤)

"وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ يَعْنِي عِيسَى عليه السلام نَبِيٌّ ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ ، رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ ، وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ ، فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى ، فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ"(٦٥)

---

(٦٤) متفق عليه

(٦٥) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٢٠١) برقم: (٤٣٢٤) قال في فتح الباري إسناده صحيح

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ ، وَإِنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ ، وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ لَا تَضُرُّهُمْ فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ"(٦٦)

وقال ﷻ في كتابه الحكيم قال ﷻ: ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢﴾ [سورة آل عمران:٥٢] وقال الله ﷻ في كتابه العظيم قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُوَ يُدۡعَىٰٓ إِلَى ٱلۡإِسۡلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧﴾ [سورة الصف:٦-٧]

(٦٦) أخرجه أحمد في "مسنده (٢ / ١٩٤٢) برقم: (٩٣٩٣) إسناد صحيح (السلسلة الصحيحة ٢١٨٢)

ما أعطى الله ﷻ عيسى ابن مريم من المعجزات

وبيان ما يماثلها من معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وقد أجرى الله لعيسى ابن مريم عليه السلام من المعجزات ما يؤمن عليه الناس ويصدقوه فيطيعونه فيما يبلغهم عن الله ﷻ فقد آتاه الله أدلة على نبوته وآيات معجزات فمنها تشكيل الطين كصورة الطير بإذن الله ونفخه فيها فتكون طيرًا حتى يتحرك ويطير بإذن الله وبأمره وقدرته ﷻ كما جعل تلك الآيات من قبل عيسى لموسى وإبراهيم وصالح عليهم السلام جميعًا فقد جعل الله لموسى عليه السلام العصا التي يستند عليها ويهش بها على غنمه جعلها الله له كائن حي وليست من الطير هذه المرة بل من الزواحف فقد خلقها الله ﷻ – ثعبانا مبينا يتحرك ويمشي أمام الناس بل يدخل في معركة مع ما يلقيه السحرة فيبتلعه حتى ينتصر موسى عليه السلام فيعلم الناس أنه رسول وليس ساحرا حتى تكون هذه دليل على نبوة موسى عليه السلام وأن الله أرسله فيصدقه الناس فيما يبلغهم عن ربهم ﷻ فقال الله تعالى في القرآن العظيم عن المعجزات التي أجراها الله لنبيه عيسى ابن مريم عليه السلام: قال ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ [سورة المائدة: ١١٠-١١١] "يُذَكِّرُ تَعَالَى مَا امْتَنَّ بِهِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام مِمَّا أَجْرَاهُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ أَيْ: فِي خَلْقِي إِيَّاكَ مِنْ أُمٍّ بِلَا ذَكَرٍ، وَجَعْلِي إِيَّاكَ آيَةً وَدَلَالَةً قَاطِعَةً عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِي عَلَى الْأَشْيَاءِ ﴿وَعَلى وَالِدَتِكَ﴾ حَيْثُ جَعلتُكَ لَهَا بُرْهَانًا عَلَى بَرَاءَتِهَا مِمَّا نَسَبَهُ الظَّالِمُونَ الْجَاهِلُونَ إِلَيْهَا مِنَ الْفَاحِشَةِ، ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ وَهُوَ جِبْرِيلُ، عليه السلام، وَجَعَلْتُكَ نَبِيًّا دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ فِي صِغَرِكَ وَكِبَرِكَ، فَأَنْطَقْتُكَ فِي الْمَهْدِ صَغِيرًا، فَشَهِدْتَ بِبَرَاءَةِ أُمِّكَ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، وَاعْتَرَفْتَ لِي بِالْعُبُودِيَّةِ، وَأَخْبَرْتَ عَنْ رِسَالَتِي إِيَّاكَ وَدَعْوَتَكَ إِلَى عِبَادَتِي؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا﴾ أَيْ: تَدْعُو إِلَى اللَّهِ النَّاسَ فِي صِغَرِكَ وَكِبَرِكَ. وَضِمْنُ "تُكَلِّمُ" تَدْعُو؛ لِأَنَّ كَلَامَهُ النَّاسَ فِي كُهُولَتِهِ لَيْسَ بِأَمْرٍ عَجِيبٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أَيِ: الْخَطَّ وَالْفَهْمَ ﴿وَالتَّوْرَاةَ﴾ وَهِيَ الْمُنَزَّلَةُ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ الْكَلِيمِ، وَقَدْ يَرِدُ لَفْظُ التَّوْرَاةِ فِي الْحَدِيثِ ويُرَاد بِهِ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ أَيْ: تُصَوِّرُهُ وَتُشَكِّلُهُ عَلَى هَيْئَةِ الطَّائِرِ بِإِذْنِي لَكَ فِي ذَلِكَ فَيَكُونُ طَائِرًا بِإِذْنِي، أَيْ: فَتَنْفُخُ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي شَكَّلْتَهَا بِإِذْنِي لَكَ فِي ذَلِكَ، فَتَكُونُ طيرًا ذَا رُوحٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَخَلْقِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتُبْرِئُ الأكْمَهَ وَالأبْرَصَ بِإِذْنِي﴾ قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ أَيْ: تَدْعُوهُمْ فَيَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، وَإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ "(٦٧)

(٦٧) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٢٣)

إن هذه المعجزة التي جعلها الله لنبيه عيسى عليه السلام من أحياء الموتى وتشكيل الطين بشكل الطير ونفخه فيها فتكون طيرًا بإذن الله قد أعطى الله موسى النبي عليه السلام مثل ذلك فقد أعطاه لله ﷻ معجزة العصا فإذا أرادها موسى عليه السلام أن تكون ثعبان حيا يسعى ألقاها من يده على الأرض وهذه معجزة كبرى من الله تعالى لموسى عليه السلام فإن الله ﷻ يخلق الثعبان الحي الذي يسعى من هذه العصا الميتة التي لا روح فيها ولا حياة بل هي جماد ميتة مثل الطين الذي يصير طيرًا وكل ذلك بإذن الله الخالق.

ما أعطى الله ﷻ لنبيه صالح من المعجزة

وبيان أنها أكبر من معجزة عيسى ابن مريم عليه السلام

ومثل هذه المعجزة التي أجراها الله لعيسى وموسى عليهما السلام من خلقه الطير والزواحف من الأشياء الميتة ، ومن تصوير الطين طيرًا ، فقد أجراها الله أيضًا لرسول من قبل عيسى وموسى عليهما السلام بزمن طويل لرسوله صالح عليه السلام – بل في هذه المرة المعجزة هنا أكبر – لما سأله قومه أن يجعل لهم آية على صدقة أنه رسول من عند الله ﷻ واقترحوا أن تكون الآية يخلقها الله لهم وتخرج من صخرة صماء تخرج منها ناقة تكون عشراء على وشك الوضع فأخذ نبي الله صالح الميثاق عليهم لئن خلق الله هذه الناقة وأخرجها من الصخرة لتؤمنن بما جئت به وتعبدون الله وحده قالوا: نعم وأدو مواثيقهم فدعا صالح عليه السلام ربه القادر جلا جلاله أن يخلق لهم هذه الناقة ويخرجها لهم تشرب من ماء البئر يومًا ويشربون يومًا ولكنهم قتلوها ولم يؤمنوا بعد هذه الآية والمعجزة الكبرى التي فيها خلق الحي من الميت فإن الله ﷻ يُخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وهو على كل شيء قدير سبحانه هو الخلاق العليم.

قال الله تعالى في كتابه العزيز عن نبيه صالح عليه السلام: إذ قال لقومه ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة هود:٦٤]

"عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ : لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحِجْرِ قَالَ : لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ ، فَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمُ صَالِحٍ ، فَكَانَتْ – يَعْنِي النَّاقَةَ – تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ ، وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ، فَعَقَرُوهَا ، فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ ، فَأَهْمَدَ اللهُ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ مِنْهُمْ إِلَّا

رَجُلًا وَاحِدًا ، كَانَ فِي حَرَمِ اللهِ ، قِيلَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : " أَبُو رِغَالٍ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ" (٦٨)

وهذه الآية ألا وهو خلق الإبل من صخرة صلبة أكبر من الطير فقد أشار الله ﷻ إلى عظمة خلق الإبل مع أشياء عظيمة في الخلق وأكبر مثل السماء فقال ﷻ في كتابه القرآن الكريم:﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الغاشية:١٧-٢٠] فإن هذه الآية ألا وهي الناقة أكبر وأشد خلقا من الطير الذي أحياه الله لعيسى عليه السلام وقد كان لقوم صالح منها منافع ومشارب محسوسة ملموسة ومغذية وهي أمامهم ليل نهار يرونها بأعينهم وهذا أكبر وأبلغ في اليقين من تصوير الطين طيرًا ثم يطير ولا يعود ولا منافع منه دنيوية لمن شاهده عائدة من ورائه مثل الناقة وقد بين الله ﷻ أن المعجزات متفاوتة في الكبر فقال ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ﴾ [سورة الزخرف:٤٨] فإن معجزة الطير لها منافع دينية لإثبات النبوة والرسالة ومعجزة الناقة تشمل المنافع الدينية والدنيوية ، وإن كل المعجزات وكل المخلوقات كل ذلك على الله يسير .

(٦٨) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٤ / ٧٧) برقم: (٦١٩٧) والحاكم في "مستدركه" (٢ / ٣٢٠) برقم: (٣٢٦٧) وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وقال ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري: (٦ / ٤٣٨) إسناد حسن

قد أحيا الله الموتى معجزة لإبراهيم وموسى

قبل أن يحيها لعيسى عليهم السلام

وقد أعطى الله موسى عليه السلام معجزة أحياء الموتى وموسعليه السلام من قبل عيسى عليه السلام بزمن طويل في بني إسرائيل وقد قص الله علينا في القرآن الكريم ذلك في قصة البقرة فقال الله تعالى في كتابه الحكيم:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة البقرة:٦٧-٧٣] "قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ-:حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّبَّاحِ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَنْبَأَنَا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ عُبَيْدَةَ السَّلْمَانِيِّ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَقِيمًا لَا يُولَدُ لَهُ، وَكَانَ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ ابْنُ أَخِيهِ وَارِثَهُ، فَقَتَلَهُ ثُمَّ احْتَمَلَهُ لَيْلًا فَوَضَعَهُ عَلَى بَابِ رَجُلٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ أَصْبَحَ

يَدَّعِيهِ عَلَيْهِمْ حَتَّى تَسَلَّحُوا، وَرَكِبَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ وَالنُّهَى: عَلَامَ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ فِيكُمْ؟ فَأَتَوْا مُوسَى، عليه السلام، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ قَالَ: فَلَوْ لَمْ يَعْتَرِضُوا الْبَقَرَ لَأَجْزَأَتْ عَنْهُمْ أَدْنَى بَقَرَةٍ، وَلَكِنَّهُمْ شَدَّدُوا فَشُدِّدَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْبَقَرَةِ الَّتِي أُمِرُوا بِذَبْحِهَا فَوَجَدُوهَا عِنْدَ رَجُلٍ لَيْسَ لَهُ بَقَرَةٌ غَيْرُهَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْقُصُهَا مِنْ مِلْءِ جِلْدِهَا ذَهَبًا، فَأَخَذُوهَا بِمِلْءِ جِلْدِهَا ذَهَبًا فَذَبَحُوهَا، فَضَرَبُوهُ بِبَعْضِهَا فَقَامَ فَقَالُوا: مَنْ قَتَلَكَ؟ فَقَالَ: هَذَا، لِابْنِ أَخِيهِ. ثُمَّ مَالَ مَيِّتًا، فَلَمْ يُعْطَ مِنْ مَالِهِ شَيْئًا، فَلَمْ يُوَرَّثْ قَاتِلٌ بَعْدُ"(٦٩)

وقد أجرى الله أحياء الموتى أيضًا لنبيه إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء من قبل نبي الله عيسى ابن مريم ونبي الله موسى بن عمران عليهما السلام وقد أجراها الله لنبيه إبراهيم حتى يترقى في الإيمان إلى أعلى درجة وهي عين اليقين.

فقال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [سورة البقرة:٢٦٠] "قال القاسمي في تفسيره ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ إنما سأل ذلك ليصير علمه عياناً ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ أي: بلى آمنت ولكن سألت لأزداد بصيرة وسكون قلب برؤية الإحياء، فوق سكونه بالوحي" (٧٠)

"ذَكَرُوا لِسُؤَالِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، أَسْبَابًا، مِنْهَا: أَنَّهُ لَمَّا قَالَ لِنُمْرُود: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أَحَبَّ أَنْ يَتَرَقَّى مِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ فِي ذَلِكَ إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ، وَأَنْ يَرَى ذَلِكَ مُشَاهِدَةً فَقَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ

(٦٩) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٩٤) رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ حَدِيثِ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ عُبَيْدَةَ بِنَحْوٍ مِنْ ذَلِكَ

(٧٠) «تفسير القاسمي = محاسن التأويل» (٢/ ١٩٩)

تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ قَالَ: رَبِّ أَرِنِي كيف تحيي الموتى؟ قال: أو لم تُؤْمِنْ. قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي "(٧١)

وَقَوْلُهُ: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ فَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: هِيَ الْغُرْنُوقُ، وَالطَّاوُسُ، وَالدِّيكُ، وَالْحَمَامَةُ. وَعَنْهُ أَيْضًا: أَنَّهُ أَخَذَ وَزًّا، وَرَأْلًا(٧٢)وديكا، وطاووسًا. وقال مجاهد وعكرمة: كانت حمامة، وديكا، وطاووسًا، وَغُرَابًا، وَقَوْلُهُ: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أَيْ: قَطِّعْهُنَّ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وغيرهم..

قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أَوْثِقْهُنَّ، فَلَمَّا أَوْثَقَهُنَّ ذَبَحَهُنَّ، ثُمَّ جَعَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا، فَذَكَرُوا أَنَّهُ عَمَدَ إِلَى أَرْبَعَةٍ مِنَ الطَّيْرِ فَذَبَحَهُنَّ، ثُمَّ قَطَّعَهُنَّ وَنَتَفَ رِيشَهُنَّ، وَمَزَّقَهُنَّ وَخَلَطَ بعضهن في ببعض، ثُمَّ جَزَّأَهُنَّ أَجْزَاءً، وَجَعَلَ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا، قِيلَ: أَرْبَعَةُ أَجْبُلٍ . وَقِيلَ: سَبْعَةٌ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَأَخَذَ رُؤُوسَهُنَّ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُ اللَّهُ ﷻ، أَنْ يَدْعُوَهُنَّ، فَدَعَاهُنَّ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ ﷻ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى الرِّيشِ يَطِيرُ إِلَى الرِّيشِ، وَالدَّمِ إِلَى الدَّمِ، وَاللَّحْمِ إِلَى اللَّحْمِ، وَالْأَجْزَاءِ مِنْ كُلِّ طَائِرٍ يَتَّصِلُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، حَتَّى قَامَ كُلُّ طَائِرٍ عَلَى حِدَتِهِ، وَأَتَيْنَهُ يَمْشِينَ سَعْيًا لِيَكُونَ أَبْلَغَ لَهُ فِي الرُّؤْيَةِ الَّتِي سَأَلَهَا، وَجَعَلَ كُلُّ طَائِرٍ يَجِيءُ لِيَأْخُذَ رَأْسَهُ الَّذِي فِي يَدِ إِبْرَاهِيمَ، عليه السلام، فَإِذَا قَدَّمَ لَهُ غَيْرَ رَأْسِهِ يَأْبَاهُ، فَإِذَا قَدَّمَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ تَرْكَبُ مَعَ بَقِيَّةِ جُثَّتِهِ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أَيْ: عَزِيزٌ لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَمَا شَاءَ كَانَ بِلَا مُمَانِعٍ لِأَنَّهُ الْعَظِيمُ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ، حَكِيمٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدْرِهِ "(٧٣)

فهذا الطير الذي أحياه الله بعد ما أماته إبراهيم ذبحًا وتقطيعًا إنما هي معجزة من معجزات الله أجراها الله لإبراهيم عليه السلام كما أجراها الله لموسى عليه السلام في قصة البقرة في الرجل الذي مات قتلًا فأحياه الله حتى يرى الناس هذا الإحياء للموتى لعلهم يعقلون ويعلمون أن الله على كل شـــيء

(٧١) متفق عليه

(٧٢) وهو فرخ النعام

(٧٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٦٩-٦٧٠) بتصرف

قدير وكذلك أجراها الله لنبيه عيسى ابن مريم عليه السلام آية من آيات الله وعلامة على أن عيسى رسول الله من عند الله حقًّا فيتبعه الناس ويصدقونه فيما يبلغهم من أمر الله إليهم فالمعجزة أمر لا يقدر عليه أحد إلا الله فيجعلها لأنبيائه حتى تكون علامة من الله على صدقهم.

فنبي الله عيسى عليه السلام ليس بإله كما زعمت النصارى ولا ابن إله وإنما هو بشرا رسولا مساويا لاخوانه من الأنبياء البشر في إجراء المعجزات على يديه مثلهم فقال ﷻ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران:٥٩] "أَيْ: لَهُ سَوِيَّة أَمْثَالِهِ مِنْ سَائِرِ الْمُرْسَلِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَرَسُولٌ مِنْ رُسُلِهِ الْكِرَامِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزُّخْرُفِ:٥٩]"(٧٤)

(٧٤) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٥٨)

التعرف على الإله الحق خالق السموات والأرض
ببعض أسمائه الجليلة وصفاته العظيمة

- **الله هو الأحد ليس كمثله شيء:**

إن الله سبحانه وتعالى لا يشبه أحدًا من الخلق سواءً كان من الإنس أو الجن أو الملائكة أو أي شيء من المخلوقات ﷻ عن ذلك علوا كبيرا فالله ﷻ ليس له شبيه ولا مثيل في صفاته ولا في أفعاله ولا في نفسه المقدسة ولا في أسمائه الحسني، قال جل ذكره في كتابه العظيم:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى:١١] وقال سبحانه ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم:٦٥] قال الإمام ابن كثير ﷺ: قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ: هل تعلم للرب مثلًا أو شبيهًا، وكذلك قال مجاهد وسعيد بن خبير وقتادة وابن جريح وغيرهم فإن الله ﷻ لا مثيل له ولا شبيه ولا ند له ولا ولد، وقال ﷺ في تفسير قوله الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أَيْ: لَيْسَ كَخَالِقِ الْأَزْوَاجِ كُلِّهَا شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ "(٧٥)

قال ابن كثير في قوله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يَعْنِي: هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا وَزِيرَ، وَلَا نَدِيدَ وَلَا شَبِيهَ وَلَا عَدِيلَ وَقَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أَيْ: لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ وَلَا صَاحِبَةٌ ، قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ يَعْنِي: لَا صَاحِبَةَ لَهُ.وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾

---

(٧٥) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٩٤)

[الْأَنْعَامِ: ١٠١] أَيْ: هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ نَظِيرٌ يُسَامِيهِ، أَوْ قَرِيبٌ يُدَانِيهِ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ " (٧٦)

- **الله أكبر**

فإن الله هو العلي الكبير وهو الكبير المتعال خضع كل شيء لعظمته قال الله تعالى في القرآن المجيد: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سورة لقمان:٣٠] "أَيِ: الْعَلِيُّ: الَّذِي لَا أَعْلَى مِنْهُ، الْكَبِيرُ: الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فكل شيء خاضع حقير بالنسبة إليه ﷻ"(٧٧)

وقال الله ﷻ في كتابه العزيز : ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الأنبياء:١٠٤]

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : يَطْوِي اللهُ ﷻ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ (٧٨) فقال رسول اللهﷺ : "والذي نفسي بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة"(٧٩)

ويبين لنا النبي محمد ﷺ عظمة الله قيوم السموات والأرض فأخبرنا أن هذا الكرسي، هو موضع قدمي الرب المقدسة فإنه ﷻ عظم شأنه وجلت عظمته "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : سُئِلَ النَّبِيُّ

(٧٦) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٢٩-٥٣١) بتصرف
(٧٧) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٥٠)
(٧٨) متفق عليه
(٧٩) رواه محمد بن أبي شيبة في "كتاب العرش " (١١٤ / ١) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٠٩

ﷺ عَنْ قَوْلِ اللهِ:﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ قَالَ : كُرْسِيُّهُ مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ ، وَالْعَرْشُ لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ" (٨٠)

إن الله ﷻ هو العلي الكبير الذي لو وضعت السموات والأراضين والكرسي والعرش مع بعضهم لكانوا بالنسبة إلى الله شيء صغير وضئيل وحقير. لا وجه لمقارنة الخالق بالمخلوق ، قال رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم في الحديث "يا عدي ما تقول؟ أيضرك أن يقال الله أكبر؟ فهل تعلم شيء أكبر من الله " (٨١) فسبحان الله العلي الكبير عما أتخذه النصاري معبوداً بالباطل وهو عبداً لله ضعيف لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.

- **من عظمة صفات الرب أنه إذا تكلم صعقت الملائكة من كلامه وهو الكبير المتعال.**

قال الله تعالى ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة سبأ:٢٣]

"وَهَذَا أَيْضًا مَقَامٌ رَفِيعٌ فِي الْعَظَمَةِ. وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى إذا تكلم بالوحي، سمع أهل السموات كَلَامَهُ، أرْعدوا مِنَ الْهَيْبَةِ حَتَّى يَلْحَقَهُمْ مِثْلُ الْغَشْيِ. قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ وَمَسْرُوقٌ، وَغَيْرُهُمَا" (٨٢)

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: إِذَا قَضَى اللهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ، ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ"(٨٣) "قال الخطابي: الصَّلْصَلَةُ صوت الحديد إذا تحرك وتداخل"(٨٤)

وفي رواية لأبي داود " عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ تَعَالَى بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا ، فَيُصْعَقُونَ فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى

---

(٨٠) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠ / ٣١٠) برقم: (٣٣١) والحاكم في "مستدركه" (٢ / ٢٨٢) برقم: (٣١٣٤) قال الحاكم : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ

(٨١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحة ٣٨١/١

(٨٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥١٤)

(٨٣) رواه البخاري ٧٤٨١

(٨٤) «مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه» (٤/ ١٣٥)

يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، قَالَ : فَيَقُولُونَ يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ ، فَيَقُولُ : الْحَقَّ ، فَيَقُولُونَ : الْحَقَّ الْحَقَّ"(٨٥)

وهذا الذي يحدث عند تكلم الله بالوحي للملائكة والسماء إنما يحدث لهم من عظمة الله وعظمة صفاته العلا ﷻ علوًّا كبيرًا عما اتخذوه من خلقه وعبيده إلهًا أو ولدًا.

- **من عظمة الله تعالى أنه لا أحدًا من المخلوقين يستطيع ولا يتحمل رؤيتة سبحانه في الحياة الدنيا.**

"عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ، فَقَالَ : إِنَّ اللهَ ﷻ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ – وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ : النَّارُ – ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ "(٨٦) قال الإمام النووي رحمه الله: معنى سبحات وجهه أي نوره وجلاله وبهاؤه والمعنى: أن الله ﷻ لو كشف هذا الحجاب الذي هو النور أو النار لأحترقت جميع مخلوقات الله من نور وجهه ذو الجلال والإكرام فهذا خبر يشمل كل المخلوقات من الأحياء والجمادات، فهذا الحجاب إنما جعله الله رحمة منه بخلقه حتى لا يحرقهم نور وجهه وقد سأل نبي الله موسى بن عمران عليه السلام أن ينظر إلى الله ويراه فأخبره الله ﷻ أنه لن يراه، قال رسول الله ﷺ : وَإِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ ﷻ حَتَّى تَمُوتُوا " وهذا في الدنيا وأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن ينظر إلى الجبل على أنه لو استقر مكانه فسوف يراه والله يعلم أن الجبل لا يستقر مكانه وسوف يندك فتجلى الله لهذا الجبل فاندك ولما رأى موسى ذلك من الجبل وقع مغشي عليه فقال الله ﷻ ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ

(٨٥) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١ / ٢٢٣) برقم: (٣٧) وأبو داود في "سننه" (٤ / ٣٧٨) برقم: (٤٧٣٨) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة

(٨٦) صحيح مسلم ١٧٩

تَرَىٰنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ "فَنظَرَ إِلَى الْجَبَلِ لَا يَتَمَالَكُ، وَأَقْبَلَ الْجَبَلُ فَدُكَّ عَلَى أَوَّلِهِ، وَرَأَى مُوسَى مَا يَصْنَعُ الْجَبَلُ، فَخَرَّ صَعِقًا، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ قَالَ: نَظَرَ اللَّهُ إِلَى الْجَبَلِ، فَصَارَ صَحْرَاءَ تُرَابًا"(٨٧) فسبحان الله ذو الجلال والإكرام عما اتخذه الناس من المعبودات الباطلة.

- **الرب هو الحي الذي لا يموت**

قال الله تعالى في كتابه العظيم : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الرحمن:٢٦-٢٧] "يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ سَيَذْهَبُونَ وَيَمُوتُونَ أَجْمَعُونَ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ السموات، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا يَبْقَى أَحَدٌ سِوَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ؛ فَإِنَّ الرَّبَّ -تَعَالَى وَتَقَدَّسَ-لَا يَمُوتُ، بَلْ هُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا"(٨٨)

وقال الله ﷻ في كتابه العزيز ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الفرقان:٥٨] "أَيْ: فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا كُن مُتَوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ أَبَدًا، الَّذِي هُوَ ﴿الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الْحَدِيدِ: ٣] الدَّائِمُ الْبَاقِي السَّرْمَدِيُّ الْأَبَدِيُّ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ، اجْعَلْهُ ذُخْرك وَمَلْجَأَكَ، وَهُوَ الَّذِي يُتَوكل عَلَيْهِ وَيُفْزَعُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ كَافِيكَ وَنَاصِرُكَ وَمُؤَيِّدُكَ وَمُظَفِّرُكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]"(٨٩)

---

(٨٧) [سورة الأعراف:١٤٣] «تفسير ابن كثير - ت السلامة» (٣/ ٤٧١)

(٨٨) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٩٤)

(٨٩) «تفسير ابن كثير» (٦/ ١١٨)

قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾ [سورة غافر:٦٥] وهذه الآيات الكريمات إنما يعلمنا الله عن بعض صفاته العظيمة التي لا مثيل له فيها ولا شبيه.

"هُوَ الْحَيُّ أَزَلًا وَأَبَدًا، لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ، وَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، ﴿لَا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾ أَيْ: لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا عَدِيلَ لَهُ"(٩٠)

- وهو الحي القيوم ﷻ

قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ [سورة طه:١١١] "قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ: خَضَعَتْ وَذَلَّتْ وَاسْتَسْلَمَتِ الْخَلَائِقُ لِجَبَّارِهَا الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، الْقَيُّومُ: الَّذِي لَا يَنَامُ، وَهُوَ قَيِّمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، يُدَبِّرُهُ وَيَحْفَظُهُ، فَهُوَ الْكَامِلُ فِي نَفْسِهِ، الَّذِي كَلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ، لَا قِوَامَ لَهُ إِلَّا بِهِ"(٩١)

قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥] "فأخبر أنه ﴿اللهُ﴾ الذي له جميع معاني الألوهية، وأنه لا يستحق الألوهية والعبودية إلا هو، فألوهية غيره، وعبادة غيره باطلة.

وأنه ﴿الْحَيُّ﴾ الذي له جميع معاني الحياة الكاملة، من السمع والبصر، والقدرة، والإرادة، وغيرها، والصفات الذاتية.

كما أن ﴿الْقَيُّومُ﴾ تدخل فيه جميع صفات الأفعال، لأنه القيوم الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بجميع الموجودات، فأوجدها وأبقاها، وأمدها بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وبقائها. ومن كمال حياته وقيوميته، أنه ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ أي: نعاس ﴿وَلا نَوْمٌ﴾ ؛ لأن السنة

(٩٠) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٥٦)
(٩١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣١٨)

والنوم، إنما يعرضـــان للمخلوق، الذي يعتريه الضـــعف، والعجز، والانحلال، ولا يعرضـــان لذي العظمة والكبرياء والجلال"(٩٢)

- **من عظمة قدرة الرب**

أنه إذا أراد خلق شيء إنما يقول له كن فيكون مخلوقًا موجودًا، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [سورة النحل:٤٠] "ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ قُدْرَتِهِ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَأَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَإِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: "كُنْ"، فَيَكُونُ، وَالْمَعَادُ مِنْ ذَلِكَ إِذَا أَرَادَ كَوْنَهُ فَإِنَّمَا يَأْمُرُ بِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً، فَيَكُونُ كَمَا يَشَاءُ، كَمَا قَالَ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [الْقَمَرِ: ٥٠] وَقَالَ: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لُقْمَانَ: ٢٨] ، وَقَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النَّحْلِ: ٤٠] ، أَيْ: أَنْ يَأْمُرَ بِهِ دُفْعَةً واحدة فإذا هو كائن.

كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ ...

إِذَا مَـا أَرَادَ اللَّهُ أَمْـرًا فَـإِنَّمَـا يَقُولُ لَـهُ: "كُنْ"، قَوْلَـةً فَيَكُونُ

"أَيْ: أَنَّهُ تَعَالَى لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَأْكِيدٍ فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى لَا يُمَانَعُ وَلَا يُخَالَفُ، لِأَنَّهُ [هُوَ] (٢) الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الْعَظِيمُ، الَّذِي قَهَرَ سُلْطَانُهُ وَجَبَرُوتُهُ وَعِزَّتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ"(٩٣)

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران:٥٩] يبين الله تعالى أن مثل خلق عيسى عليه السلام كخلق آدم أبو البشر سواء ، فإن الله خلق آدم أبو البشر وهو نبي من غير أب ولا أم فقال له كن فكان

(٩٢) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٩٥٤)
(٩٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٧٢)

مخلوقًا موجودًا في أول الزمان ومثله عيسى عليه السلام أراد الله أن يخلقه من غير أب فقال له كن فكان مخلوقًا موجودًا في أواخر الزمان في بني إسرائيل حتى يعلم الناس أن الله قديرًا على خلق ما يشاء وإنما إذا أراد أن يخلق شيء مهما كان هذا الشيء في نظر الناس صعب فإنه على خلق هذا الشيء قدير ومقتدرًا ﷻ فذلكم الله ربكم﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة غافر:٦٤]، وقد تكلمنا عن بعض صفات الله الحي الذي لا يموت حتى نعلم الفرق بين الإله الخالق ﷻ وبين العبد المخلوق الضعيف.

عبودية عيسى هو وأمه لله رب العالمين

وعلامات بشريته

فقد تبين لنا ما قاله الله ﷻ ووصفه به في كتابه القرآن الحكيم أن عيسى ابن مريم عليه السلام رسول قد خلت ومضت من قبله الرسل الذين أرسلهم الله من قبله وأعطاه الله من الخوارق وأيده بالمعجزات مثل ما أيد الله الرسل من قبله بالمعجزات وأن أمه مريم العذراء صديقة وكانا يأكلان الطعام هو وأمه فقال الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة المائدة:٧٥] "أَيْ: لَهُ سَوِيَّة أَمْثَالِهِ مِنْ سَائِرِ الْمُرْسَلِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَرَسُولٌ مِنْ رُسُلِهِ الْكِرَامِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزُّخْرُفِ:٥٩] وَقَوْلُهُ: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ أَيْ: مُؤْمِنَةٌ بِهِ مُصَدِّقَةٌ لَهُ. وَهَذَا أَعْلَى مَقَامَاتِهَا ،

وَقَوْلُهُ: ﴿كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ أَيْ: يَحْتَاجَانِ إِلَى التَّغْذِيَةِ بِهِ، وَإِلَى خُرُوجِهِ مِنْهُمَا، فَهُمَا عَبْدَانِ كَسَائِرِ النَّاسِ وَلَيْسَا بِإِلَهَيْنِ كَمَا زَعَمَتْ فِرَقُ النَّصَارَى الْجَهَلَةِ، عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ﴾ أَيْ: نُوَضِّحُهَا وَنُظْهِرُهَا، ﴿ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أَيْ: ثُمَّ انْظُرْ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ وَالْوُضُوحِ وَالْجَلَاءِ أَيْنَ يَذْهَبُونَ؟ وَبِأَيِّ قَوْلٍ يَتَمَسَّكُونَ؟ وَإِلَى أَيِّ مَذْهَبٍ مِنَ الضَّلَالِ يَذْهَبُونَ؟"(٩٤)

(٩٤) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٥٩)

قال ﷻ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران:٥٩] وقد بين الله في كتابه الحكيم بعض الصفات البشرية لعبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام قال تعالى: ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ [سورة مريم:٢٢] وهذا مثل كل جنين بشري قال ﷻ: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة مريم:٢٣] فهو عليه السلام ولد مثل كل إنسان خرج من بطن أمه.

قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ﴾ [سورة مريم:٢٧] فهو عليه السلام تحمله أمه لضعفه وقلة قواه مثل سائر البشر بعد ولادتهم، قال الله عليه السلام عن عبودية عيسى عليه السلام – لله العلي الكبير في كتابه القرآن العظيم:قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة النساء:١٧٢-١٧٣] "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ لَنْ يَسْتَكْبِرَ ، وَقَالَ قَتَادَةُ: لَنْ يَحْتَشِمَ"(٩٥)

(٩٥) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٨٠)

تبرءة عيسى ابن مريم عليه السلام أمام الله يوم القيامة
ممن عبدوه في الدنيا من النصارى

فها هو عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام ، دعا الناس إلى دين الله وعبادة الله الواحد القهار التي هي لب الإسلام وحقيقته ولم يدع الناس إلى غير ذلك مما هم عليه اليوم من تأليه عيسى ابن مريم عليه السلام وعبادته من دون الله عز وجل هو وأمه وعبادة الرهبان، فإن الله أخبرنا بأنه سوف يسأل عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام عن هذا الذي عليه النصارى اليوم من الدين الشركي وعبادة غير الله تعالى فيسأل الله عيسى عليه السلام هل أمرهم بهذا الكفر والشرك فيجيب عيسى عليه السلام ربه بأنه لم يأمر الناس بهذا ويتبرأ إلى الله من ذلك وأنه ما قال لهم شيء إلا ما أمره الله أن يبلغهم إياه، فيقول الله تعالى في كتابه الكريم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [سورة المائدة:١١٦-١١٨] .

"ذَا أَيْضًا مِمَّا يُخَاطِبُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عبده ورسوله عيسى ابن مريم، عليه السلام، قَائِلًا لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَضْرَةِ مَنِ اتَّخَذَهُ وَأَمَّهُ إِلَهَيْنِ مَنْ دُونِ اللَّهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي

وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ؟ وَهَذَا تَهْدِيدٌ لِلنَّصَارَى وَتَوْبِيخٌ وَتَقْرِيعٌ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ. هَكَذَا قَالَهُ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ وَقَوْلُهُ: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ هَذَا تَوْفِيقٌ لِلتَّأَدُّبِ فِي الْجَوَابِ الْكَامِلِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: يَلْقَى عِيسَى حُجَّتَهُ، ولقَّاه اللَّهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَقَّاهُ اللَّهُ: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أي آخِرِ الْآيَةِ .

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ أَيْ: إِنْ كَانَ صَدَرَ مِنِّي هَذَا فَقَدْ عَلِمْتَهُ يَا رَبِّ، فَإِنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِمَّا قُلْتُهُ وَلَا أَرَدْتُهُ فِي نَفْسِي وَلَا أَضْمَرْتُهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ بِإِبْلَاغِهِ ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أَيْ: مَا دَعَوْتُهُمْ إِلَّا إِلَى الَّذِي أَرْسَلْتَنِي بِهِ وَأَمَرْتَنِي بِإِبْلَاغِهِ: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أَيْ: هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ لَهُمْ، ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أَيْ: كُنْتُ أَشْهَدُ عَلَى أَعْمَالِهِمْ حِينَ كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَوْعِظَةٍ، فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ، ﷻ، حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسى إِبْرَاهِيمُ، أَلَا وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ: أَصْحَابِي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فَيُقَالُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ"(٩٦)

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ هَذَا الْكَلَامُ يَتَضَمَّنُ رَدَّ الْمَشِيئَةِ إِلَى اللَّهِ، ﷻ، فَإِنَّهُ الْفَعَّالُ لِمَا يَشَاءُ، الَّذِي لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ.

(٩٦) متفق عليه

ويتضمن التَّبَرِّيَ مِنَ النَّصَارَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ، وَعَلَى رَسُولِهِ، وَجَعَلُوا لِلَّهِ نِدًّا وَصَاحِبَةً وَوَلَدًا، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا "(٩٧)

(٩٧) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٣٤-٢٣٥-٢٣٦) بتصرف

حقيقة انحراف النصارى عن دين الإسلام

الذي جاء به عيسى عليه السلام إليهم واتباعهم الظنون لا الوحي

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [سورة آل عمران:١٩].

"يخبر تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: الدين الذي لا دين لله سواه، ولا مقبول غيره، هو ﴿الإِسْلامُ﴾ وهو الانقياد لله وحده، ظاهرا وباطنا بما شرعه على ألسنة رسله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فمن دان بغير دين الإسلام، فهو لم يدن لله حقيقة، لأنه لم يسلك الطريق الذي شرعه على ألسنة رسله.

ثم أخبر تعالى، أن أهل الكتاب يعلمون ذلك، وإنما اختلفوا، فانحرفوا عنه عنادا وبغيا، وإلا فقد جاءهم العلم المقتضي لعدم الاختلاف الموجب للزوم الدين الحقيقي.

ثم لما جاءهم محمد -ﷺ- عرفوه حق المعرفة، ولكن الحسد والبغي والكفر بآيات الله هي التي صدتهم عن اتباع الحق.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: فلينتظر ذلك فإنه آت، وسيجزيهم الله بما كانوا يعملون"(٩٨)

(٩٨) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٩٦٤)

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة مريم:٣٤-٣٧]

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره: يقول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ ذلك الذي قصصناه عليك من خبر عيسى عليه السلام :﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة مريم:٣٤] قَالَ: اجْتَمَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَأَخْرَجُوا مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ، أَخْرَجَ كُلُّ قَوْمٍ عَالِمَهُمْ، فَامْتَرُوا فِي عِيسَى حِينَ رُفِعَ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: هُوَ اللَّهُ هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ فَأَحْيَا مَنْ أَحْيَا، وَأَمَاتَ مَنْ أَمَاتَ، ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ -وَهُمُ الْيَعْقُوبِيَّةُ. فَقَالَ الثَّلَاثَةُ: كَذَبْتَ. ثُمَّ قَالَ اثْنَانِ مِنْهُمْ لِلثَّالِثِ: قُلْ أَنْتَ فِيهِ، قَالَ: هُوَ ابْنُ اللَّهِ -وَهُمُ النَّسْطُورِيَّةُ. فَقَالَ الِاثْنَانِ: كَذَبْتَ. ثُمَّ قَالَ أَحَدُ الِاثْنَيْنِ لِلْآخَرِ: قُلْ فِيهِ. قَالَ: هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ: اللَّهُ إِلَهٌ، وَهُوَ إِلَهٌ، وَأُمُّهُ إِلَهٌ -وَهُمُ الْإِسْرَائِيلِيَّةُ مُلُوكُ النَّصَارَى، عَلَيْهِمْ لِعَائِنُ اللَّهِ. قَالَ الرَّابِعُ: كَذَبْتَ، بَلْ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ، وَكَلِمَتُهُ، وَهُمُ الْمُسْلِمُونَ. فَكَانَ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَتْبَاعٌ عَلَى مَا قَالُوا، فَاقْتَتَلُوا فظُهِرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٢١] وَقَالَ قَتَادَةُ: وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ: ﴿فَاخْتَلَفَ الأحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ قَالَ: اخْتَلَفُوا فِيهِ فَصَارُوا أَحْزَابًا (٩٩)

(٩٩) تفسير عبد الرزاق (٩/٢)

اتباع النصارى الظنون في أمر عيسى عليه السلام
بعد نجاته من القتل برفعه إلى السماء

وإنما هذا الذي قالوه واعتقدوه في عيسى عليه السلام بأنه إله أو ابن إله أو ثالث ثلاثة، إنما كان هذا الاعتقاد بالظن والتخمين وليس راجعًا إلى وحي من عند الله ولا كتاب من عند الله إنما كانت هذه الظنون والتخمينات تحاسدًا بينهم وحرصًا منهم على عدم موافقة الغير لا لاتباع الحق ولكن بغيًا بينهم وتدابرًا وحسدًا فلذلك شكوا في أمر عيسى عليه السلام.

"وَقَدْ أَوْضَحَ اللَّهُ الْأَمْرَ وَجَلَّاهُ وَبَيَّنَهُ وَأَظْهَرَهُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، الْمُؤَيَّدِ بِالْمُعْجِزَاتِ وَالْبَيِّنَاتِ وَالدَّلَائِلِ الْوَاضِحَاتِ، فَقَالَ تَعَالَى -وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ، وَرَبُّ الْعَالَمِينَ، الْمُطَّلِعُ عَلَى السَّرَائِرِ وَالضَّمَائِرِ، الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السموات وَالْأَرْضِ، الْعَالِمُ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ-: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أَيْ: رَأَوْا شَبَهَهُ فَظَنُّوهُ إِيَّاهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ [وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ] عْنِي بِذَلِكَ: مَنِ ادَّعَى قَتْلَهُ مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنْ سَلَّمه مِنْ جُهَّالِ النَّصَارَى، كُلُّهُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ وَحَيْرَةٍ وَضَلَالٍ وسُعُر. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أَيْ: وَمَا قَتَلُوهُ مُتَيَقِّنِينَ أَنَّهُ هُوَ، بَلْ شَاكِّينَ مُتَوَهِّمِينَ. ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أَيْ مَنِيعَ الْجَنَابِ لَا يُرَامُ جَنَابُهُ، وَلَا يُضَامُ مَنْ لَاذَ بِبَابِهِ ﴿حَكِيمًا﴾ أَيْ: فِي جَمِيعِ مَا يُقَدِّرُهُ وَيَقْضِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَخْلُقُهَا وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ، وَالسُّلْطَانُ الْعَظِيمُ"(١٠٠)

عَنِ ابن عباس قال: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ، خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ -وَفِي الْبَيْتِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْحَوَارِيِّينَ-يَعْنِي: فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَيْنٍ فِي الْبَيْتِ، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً، فَقَالَ: إِنَّ

(١٠٠) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٤٩)

مِنْكُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً، بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِي. ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبَهِي، فَيُقْتَلُ مَكَانِي وَيَكُونَ مَعِي فِي دَرَجَتِي؟ فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ ذَلِكَ الشَّابُّ، فَقَالَ: اجْلِسْ. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ الشَّابُّ فَقَالَ: أَنَا. فَقَالَ: أَنْتَ هُوَ ذَاكَ. فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَه عِيسَى وَرُفِعَ عِيسَى مِنْ رَوْزَنَة فِي الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ. قَالَ: وَجَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ فَأَخَذُوا الشَّبَهَ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ صَلَبُوهُ وَكَفَرَ بِهِ بَعْضُهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً، بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِهِ وَافْتَرَقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: كَانَ اللَّهُ فِينَا مَا شَاءَ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ. وَهَؤُلَاءِ الْيَعْقُوبِيَةُ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا ابْنُ اللَّهِ مَا شَاءَ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ. وَهَؤُلَاءِ النُّسْطُورِيَّةُ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ. وَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ، فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ، فَقَتَلُوهَا، فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ طَامِسًا حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي كُرَيب، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، بِنَحْوِهِ وَكَذَا ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبَهِي فيقتلَ مَكَانِي، وَهُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟" (١٠١)

(١٠١) «تفسير ابن كثير» (٢/ -٤٤٩-٤٥٠)

نزول آخر رسالات الله لأهل الأرض

على خاتم النبيين محمد ﷺ النبي الأمي

وبعد أن أصبح الدين الذي أنزله الله على رسله طامسًا ودارسًا مشوهًا بعيدًا عن الحق جانحًا إلى الأهواء والظنون البشرية الضالة التي حرفته عن مضمونه وجوهره ومحتواه وعن مقصده الأساسي ألا وهو توحيد الخالق ﷻ خالق السموات والأرض رب العالمين، وأصبح أهل الأرض يخوضون ويعمهون في ضلال المحرفين والمبدلين للكتب التي أنزلها الله ﷻ على أنبيائه الكرام عليهم السلام وذلك حين من الدهر وزمن طويل وهي تسمى الفترة لأن الله لم يرسل فيها نبي بعد عيسى عليه السلام مباشرة ملتصق به ولكن أرسل رسوله محمدًا ﷺ بعده بزمن فقال الله ﷻ في كتابه المجيد ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾ [سورة المائدة:١٩]

"يَقُولُ تَعَالَى مُخَاطِبًا أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى: إِنَّهُ قَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا خَاتَمَ النَّبِيِّينَ، الَّذِي لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ وَلَا رَسُولَ بَلْ هُوَ الْمُعَقِّبُ لِجَمِيعِهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أَيْ: بَعْدَ مُدَّةٍ مُتَطَاوِلَةٍ مَا بَيْنَ إِرْسَالِهِ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِ هَذِهِ الْفَتْرَةِ، كَمْ هِيَ؟ فَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ النَّهْدِيّ وَقَتَادَةُ -فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ-: كَانَتْ سِتَّمِائَةِ سَنَةً. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيّ. وَعَنْ قَتَادَةَ: خَمْسُمِائَةٍ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَقَالَ مَعْمَر، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ: خَمْسُمِائَةٍ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً. وَقَالَ: الضَّحَّاكُ: أَرْبَعُمِائَةٍ وَبِضْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً" (١٠٢)

(١٠٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٧٠)

والمقصـود أن الله بعث محمدا ﷺ على فترة من الرسـل وطموس من السـبل وتغير الأديان وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان فكانت النعمة به في أتم النعم والحاجة إليه أمر عمم، فإن الفساد كان قد عم جميع البلاد والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد إلا قليلًا من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين من بعض أحبار اليهود وعباد النصارى والصائبين وَالْمَقْصُودُ مِنْ إِيرَادِ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ: "وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ". وَفِي لَفْظِ مُسْلِمٍ: "مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ". "وَكَانَ الدِّينُ قَدِ التبس على أهل الْأَرْضِ كُلِّهِمْ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَهَدَى الْخَلَائِقَ، وَأَخْرَجَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَتَرَكَهُمْ عَلَى المحَجَّة الْبَيْضَاءِ، وَالشَّرِيعَةِ الغرَّاء؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ﴾ أَيْ: لِئَلَّا تَحْتَجُّوا وَتَقُولُوا -: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ بَدَّلُوا دِينَهُمْ وَغَيَّرُوهُ-مَا جَاءَنَا مِنْ رَسُولٍ يُبَشِّرُ بِالْخَيْرِ وَيُنْذِرُ مِنَ الشَّرِّ، فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ، يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: مَعْنَاهُ: إِنِّي قَادِرٌ عَلَى عِقَابِ مَنْ عَصَانِي، وَثَوَابِ مَنْ أَطَاعَنِي" (١٠٣)

(١٠٣) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٧٢) بتصرف

لا يترك الله العباد هملًا بغير إرسال رسول

ولا يليق بالله ﷻ أن يترك أهل الأرض من غير أن ينزل إليهم كتاب ويرسل إليهم رسول من عنده مدة تصل إلى ألفي عام وأكثر فهذه المدة من غير إنزال هداية للناس يكون هذا إهمالًا والله ﷻ لا يهمل عباده ولا يتركهم تائهين في الضلالات هذا الزمن البعيد جدًا، كما تظن اليهود والنصارى، فإن اليهود ينتظرون إرسال عيسى عليه السلام إلى الآن؟ كيف وهو قد أرسل ولم يؤمنوا به ومن بعده محمد ﷺ ولم يؤمنوا به أيضا ويظنون أن الله لم يرسل رسول منذ رفع عيسى عليه السلام منذ ما يقرب من ألفى عام، وقد أرسل الله لهم رسوله محمدًا ﷺ الذي بشر به عيسى بآخر رسالة وهي القرآن الكريم فلم يؤمنوا به ويقولون ننتظر رسول من عند الله وقد كفروا به لما جاءهم، والله لا يهمل العباد كل هذا الوقت الطويل بدون أن ينزل إليهم النور والهداية والإرشاد، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

فمَنَّ الله على أهل الأرض وأراد بهم الخير والهداية ودعاهم إلى دار السلام وهي جنته ورحمته ونعيمه المقيم باتباع النور والرحمة التي أنزلها على رسوله محمد بن عبد الله وهذه الرحمة. والنور هو كتابه القرآن العظيم والكتاب المبين والذكر الحكيم أنزله على رسوله محمد ﷺ حتى يكون آخر رسالات الإسلام من الله إلى أهل الأرض إلى قيام الساعة كتابًا مصدقًا لما أنزله الله من الكتب من قبله جميعا ومهيمنا حاكمًا عليها وناسخًا لشرائعها ورافعًا للعمل بها وقد علق الله ﷻ شرط دخول الجنة لعباده على الإيمان بهذا الكتاب العظيم القرآن الكريم والإيمان برسوله محمد ﷺ وتصديقه فيما أخبر عن الله ﷻ من وحيه الذي انزله عليه ﷺ والإيمان بكل الكتب التي أُنزلت قبله والنبيين قبله، وقد جعل الله هذا الكتاب الخاتم منهاجًا ، وشرعه لأهل الأرض من الأنس والجن جميعاً إلى يوم القيامة محاسبون على أتباعهم له أو توليهم عنه فإن الله أنزله لأهل الأرض جميعًا باختلاف أجناسهم وشعوبهم إنسهم وجنهم عربهم وعجمهم.

وكذلك النبي الخاتم لجميع الأنبياء والمرسلين أرسله الله إلى الثقلين جميعا إلى الناس كافة والجن كافة فإنه لا نبي بعده.

قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة المائدة:٤٨].

"لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى التَّوْرَاةَ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى مُوسَى كَلِيمِهِ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] وَمَدَحَهَا وَأَثْنَى عَلَيْهَا، وَأَمَرَ بِاتِّبَاعِهَا حَيْثُ كَانَتْ سَائِغَةَ الِاتِّبَاعِ، وَذَكَرَ الْإِنْجِيلَ وَمَدَحَهُ، وَأَمَرَ أَهْلَهُ بِإِقَامَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَا فِيهِ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ، شَرَعَ تَعَالَى فِي ذِكْرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الْكَرِيمِ، فَقَالَ: ﴿وَأَنزلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أَيْ: بِالصِّدْقِ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أَيْ: مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ الْمُتَضَمِّنَةِ ذِكْرَه ومَدْحه، وَأَنَّهُ سَيَنْزِلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَكَانَ نُزُولُهُ كَمَا أَخْبَرَتْ بِهِ، مِمَّا زَادَهَا صِدْقًا عِنْدَ حَامِلَيْهَا مِنْ ذَوِي الْبَصَائِرِ، الَّذِينَ انْقَادُوا لِأَمْرِ اللَّهِ وَاتَّبَعُوا شَرَائِعَ اللَّهِ، وَصَدَّقُوا رُسُلَ اللَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا﴾ [الْإِسْرَاءِ:١٠٧، ١٠٨] أَيْ: إِنْ كَانَ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ الْمُتَقَدِّمِينَ، مِنْ مَجِيءِ مُحَمَّدٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿لَمَفْعُولا﴾ أَيْ: لَكَائِنًا لَا مَحَالَةَ وَلَا بُدَّ وَقَوْلُهُ: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ ﴾ فقد ذكر الإمام ابن كثير أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين فذكر عن ابن عباس : أَيْ: مُؤْتَمَنًا عَلَيْهِ وعنه أيضًا رضي الله عنه قَالَ: الْقُرْآنُ أَمِينٌ عَلَى كُلِّ كتاب قبله.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: الْقُرْآنُ أَمِينٌ عَلَى الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَمَا وَافَقَهُ مِنْهَا فَهُوَ حَقٌّ، وَمَا خَالَفَهُ مِنْهَا فَهُوَ بَاطِلٌ ، وَقَالَ العَوْفِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾ أَيْ: حَاكِمًا عَلَى مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ ، وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ كُلُّهَا مُتَقَارِبَةُ الْمَعْنَى، فَإِنَّ اسْمَ "الْمُهَيْمِنِ" يَتَضَمَّنُ هَذَا كُلَّهُ، فَهُوَ أَمِينٌ وَشَاهِدٌ وَحَاكِمٌ عَلَى كُلِّ كِتَابٍ قَبْلَهُ، جَعَلَ اللَّهُ هَذَا الْكِتَابَ الْعَظِيمَ، الَّذِي أَنْزَلَهُ آخِرَ الْكُتُبِ وَخَاتَمَهَا، أَشْمَلَهَا وَأَعْظَمَهَا وَأَحْكَمَهَا حَيْثُ جَمَعَ فِيهِ مَحَاسِنَ مَا قَبْلَهُ، وَزَادَهُ مِنَ الْكَمَالَاتِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهِ؛ فَلِهَذَا جَعَلَهُ شَاهِدًا وَأَمِينًا وَحَاكِمًا عَلَيْهَا كُلِّهَا. وَتَكَفَّلَ تَعَالَى بِحِفْظِهِ بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، فَقَالَ [تَعَالَى] ﴿إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الْحِجْرَ:٩] "(١٠٤) من التبديل والتحريف والزيادة

وهذا القرآن تكفل الله ﷻ بحفظه بنفسه المقدسة بخلاف الكتب التي أنزلها الله من قبل فقد أمر أهلها أن يحفظوها هم من التبديل فبدلوا وغيروا واشتروا بها ثمنًا قليلًا، فقال الله تعالى:﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المائدة:٤٤] "أَيْ بِسَبَبِ الَّذِي ﴿اُسْتُحْفِظُوا﴾ اُسْتُودِعُوهُ أَيْ اسْتَحْفَظَهُمْ اللَّه إيَّاهُ ﴿مِنْ كِتَاب اللَّه﴾ أَنْ يُبَدِّلُوهُ ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاء﴾ أَنَّهُ حَقّ"(١٠٥)

وقال الله ﷻ في كتابه بعد ما أخبرنا بأهل الكتابين اليهود والنصارى أن منهم الأمين ومنهم الخائن للأمانة وأنهم يقولون على الله الكذب.

---

(١٠٤) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٢٧-١٢٨) بتصرف

(١٠٥) «تفسير الجلالين» (ص١٤٤)

قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة آل عمران:٧٨]."قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالشَّعْبِيُّ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾ يُحَرِّفُونَهُ.

وَهَكَذَا رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُمْ يُحَرِّفُونَ وَيَزِيدُونَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يُزِيلُ لَفْظَ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ، لَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَهُ: يَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ"(١٠٦)

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [سورة الأنعام:٩١]."أَيْ: يَجْعَلُهَا حَمَلَتُهَا قَرَاطِيسَ، أَيْ: قِطَعًا يَكْتُبُونَهَا مِنَ الْكِتَابِ الْأَصْلِيِّ الَّذِي بِأَيْدِيهِمْ وَيُحَرِّفُونَ فِيهَا مَا يُحَرِّفُونَ وَيُبَدِّلُونَ وَيَتَأَوَّلُونَ، وَيَقُولُونَ: ﴿هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الْبَقَرَة: ٧٩] ، أَيْ: فِي كِتَابِهِ الْمُنَزَّلِ، وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾"(١٠٧)

وقال العلامة السعدي في تفسيره "فمن قال هذا، فما قدر الله حق قدره، ولا عظمه حق عظمته، إذ هذا قدح في حكمته، وزعم أنه يترك عباده هملا لا يأمرهم ولا ينهاهم، ونفي لأعظم منة، امتن الله بها على عباده، وهي الرسالة، التي لا طريق للعباد إلى نيل السعادة، والكرامة، والفلاح، إلا بها، فأي قدح في الله أعظم من هذا؟ "(١٠٨)

---

(١٠٦) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٥)

(١٠٧) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٠٠)

(١٠٨) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٢٦٤)

جعل الله القرآن العظيم الرسالة الأخيرة من الله لأهل الأرض معجزة خالدة إلى يوم القيامة

إن الله ﷻ قد أنزل القرآن كلامه العظيم معجزة للخلق أجمعين إنسهم وجنهم باقية أمامهم وبين أظهرهم إلى قيام الساعة حتى يكون هذا القرآن آية ومعجزة تهديهم إلى ربهم ﷻ وتهديهم إلى سبيل الرشاد الصراط المستقيم وتعرفهم بربهم حق المعرفة وقد ضمنه الله سبحانه أنباء عن من سبقنا من الأمم الماضية نجدها اليوم آيات أمام أعيننا وأخبرنا عن أسرار خلقها الله وأودعها في كونه وخلقه نراها بأعيننا على مر الدهر والأزمان كما أنبئنا الله عنها في كتابه العظيم وأنبأنا أيضًا عن حوادث في الغيب ، وقد وقع منها كثير كما أخبر الله في كتابه الرسالة الخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها حتى يتيقن الخلق أنه الحق.

والله سبحانه بحكمته يظهرها ويجليها للعباد، ولا سيما الكافرين خاصة الذي لا يؤمنون بهذه الرسالة العظيمة الخالدة ولا يؤمنون بدين الله الإسلام حتى يتبين لهم أن هذا القرآن الحكيم إنما هو كلام ربهم خالق الأرض والسموات رب العالمين وأنه حق وأنهم مأمورون بالإيمان به والعمل بما فيه ليكونوا مهتدين سائرين على صراط الله المستقيم ويكونوا من عباد الله خالقهم ولا يكون من أعداء الله الخائنين المكذبين لكلام ربهم ﷻ.

وقد تولى الله إظهار هذه الآيات التي في كتابه الحكيم في كل وقت شيء منها يظهره الله ويجليه ويريه للعباد ولاسيما الكافرين الذي لا يؤمنون بكتابه وذلك على أيديهم فقد تولى الله إظهار صدق القرآن الكريم بأسباب وآلات وأجهزة أعطاها للكافرين الذي لا يؤمنون بالكتاب حتى يروا ذلك فيؤمنوا ويصدقوا به، فهذا التقدم العلمي الذي أعطاه الله للكافرين من الأجهزة الحديثة التي نراها كلها إنما ذلك لأمرين والله أعلى وأعلم.

أن الله تعالى أعطى لأهل الكفر والشرك تلك الأجهزة الحديثة المتطورة والدقيقة وهذه العلوم وكل هذا التقدم حتى يظهر الله به آيات التي بثها في كونه وفي أنفسهم التي أخبرنا الله بها في القرآن الحكيم حتى يعلموا أن القرآن حق فيؤمنوا به ويعملوا بما فيه، وأما المسلمون، فإن الله قد أعطاهم كتابه العظيم فيه الآيات كلها المكتشفة والتي لم يرها الكفار.

فقد قال الله تعالى في كتابه القرآن العظيم:﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة فصلت:٥٣] "أَيْ: سَنُظْهِرُ لَهُمْ دَلَالَاتِنَا وحُجَجنا عَلَى كَوْنِ الْقُرْآنِ حَقًّا مُنَزَّلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ﷻ، عَلَى رَسُولِهِ ﷺ بِدَلَائِلَ خَارِجِيَّةٍ ﴿فِي الآفَاقِ﴾ ، مِنَ الْفُتُوحَاتِ وَظُهُورِ الْإِسْلَامِ عَلَى الْأَقَالِيمِ وَسَائِرِ الْأَدْيَانِ ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ مَا الْإِنْسَانُ مُرَكَّبٌ مِنْهُ وَفِيهِ وَعَلَيْهِ مِنَ الْمَوَادِّ وَالْأَخْلَاطِ وَالْهَيْئَاتِ الْعَجِيبَةِ، كَمَا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي عِلْمِ التَّشْرِيحِ الدَّالِّ عَلَى حِكْمَةِ الصَّانِعِ ﷻ"(١٠٩) والآية الكريمة تتحدث عن إظهار الآيات التى في الكون والتي أيضا في خلق الإنسان من الأسرار والعجائب.

وقال السعدي في تفسيره "أي {قُلْ} لهؤلاء المكذبين بالقرآن المسارعين إلى الكفران {أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ} هذا القرآن {مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} من غير شك ولا ارتياب، {ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} أي: معاندة لله ولرسوله، لأنه تبين لكم الحق والصواب، ثم عدلتم عنه، لا إلى حق، بل إلى باطل وجهل، فإذا تكونون أضل الناس وأظلمهم.

فإن قلتم، أو شككتم بصحته وحقيقته، فسيقيم الله لكم، ويريكم من آياته في الآفاق كالآيات التي في السماء وفي الأرض، وما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر على الحق.

---

(١٠٩) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٨٧)

{وَفِي أَنْفُسِهِمْ} مما اشتملت عليه أبدانهم، من بديع آيات الله وعجائب صنعته، وباهر قدرته، وفي حلول العقوبات والمثلات في المكذبين، ونصر المؤمنين. {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ} من تلك الآيات، بيانًا لا يقبل الشك {أَنَّهُ الْحَقُّ} وما اشتمل عليه حق"(١١٠)

والسبب الذي من أجله أعطى الله هذه الأجهزة والآلات الحديثة للناس إنما هو فضل من الله ورحمة بهم وتخفيف عليهم وحملهم في البر والبحر والجو ومتاع إلى حين وسبب لمعايشهم في الدنيا فإنهم قد كثروا جدا ولا تقوم أمور معايشهم إلا بهذا الفضل من الله.

(١١٠) «تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن» (ص٧٥٢)

القرآن معجزة في إخباره عن الأمم الماضية

فقد أخبرنا الله ﷻ عن قوم نوح عليه السلام وما فعل بهم من إغراقهم بسبب كفرهم وعدم إيمانهم برساله الإسلام ، بالرسالة التي جاء بها نوح عليه السلام وتكذيبهم بذلك فأخبرنا الله في كتابه العظيم أنه أهلكهم بالغرق جميعا ونجى الله نبيه نوح عليه السلام والذين آمنوا معه ، وأمر الله نوح عليه السلام أن يصنع الفلك حتى إذا جاء أمر الله بإغراق الكفار في الأرض أرسل الله الطوفان ماء من السماء والأرض حتى يقطع الله دابر الكافرين بإغراقهم ونجى الله نوحا عليه السلام والذين آمنوا معه والمخلوقات التي أمر الله نوحا عليه السلام أن يحملها معه – نجاهم الله جميعا في الفلك وأنزلهم بعد ذلك على جبل الجودي ، وأخبر تعالى في كتابه القرآن المجيد أنه قد ترك هذه السفينة آية للناس وعلامة على أن القرآن حق وأنه من عند الله وقدرها الناس بأجهزة من تحت التراب فوق قمة جبل جودي ثم حفروا عليها وأخرجوها حتى يراها الناس فقال الله تعالى:﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [سورة القمر:١٥] "قَالَ قَتَادَةُ: أَبْقَى اللَّهُ سَفِينَةَ نُوحٍ حَتَّى أَدْرَكَهَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ"(١١١)

(١١١) تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٧٧)

القرآن معجزة في إخباره عن حقائق علمية في الكون

ومن معجزات القرآن العظيم عن أخباره بحقائق علمية وأسرار في الكون خلقها الله وأوجدها ألا وهي انشقاق القمر نصفين فقد قال الله ﷻ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [سورة القمر:١] فأخبرنا الله ﷻ أن يوم القيامة قد اقترب وعلامة اقترابه انشقاق القمر، روى البيهقي عن عبد الله ابن عباس قال: "انْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ حَتَّى صَارَ فِرْقَتَيْنِ، فَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ أَهْلُ مَكَّةَ: هَذَا سِحْرٌ سَحَرَكُمْ بِهِ ابْنُ أَبِي كَبْشَة، انْظُرُوا السُّفَّارَ، فَإِنْ كَانُوا رَأَوْا مَا رَأَيْتُمْ فَقَدْ صَدَقَ، وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَرَوْا مِثْلَ مَا رَأَيْتُمْ فَهُوَ سِحْرٌ سَحَرَكُمْ بِهِ. قَالَ: فَسُئِلَ السُّفَّارُ، قَالَ: وَقَدِمُوا مِنْ كُلِّ وُجْهَةٍ، فَقَالُوا: رَأَيْنَاهُ.

رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ، بِهِ . وَزَادَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ "[١١٢] وها نحن اليوم نرى الكفار يصورون هذا الشق في منتصف القمر بالأجهزة التى أعطهم الله أياها فيأتون بها ليراها المسلمون فيكون آية للكفار على أن القرآن من عند الله وهو حق ويزداد المسلمين إيمانا ويقينا لكتاب الله المعجز في اخباره عن الحقائق المثبوتة في الكون ، فقال الله تعالى في القرآن العظيم عن حقيقة الصعود خارج الأرض إلى السماء وأنه ليس فيه أكسجين لتنفس الإنسان فهي حقيقة كونية ما أحد يعرفها إلا الله الذي خلقها ووضعها في الكون فقال الله ﷻ في كتابه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾ [سورة الأنعام:١٢٥] فأخبر الله تعالى

(١١٢) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٧٤)

في كتابه أن الذي يريد سبحانه أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا تجاه الإسلام مثل الذي يخرج من مجال الأرض إلى السماء فيكون صدره مثل ذلك ضيقًا حرجًا لعدم وجود الأكسجين الذي يتنفسه.

ونحن نعلم أن من أراد الصعود خارج الأرض في السماء إنما يحمل معه أسطوانة مملوئة بهواء الأكسجين حتى يستطيع صدره التنفس من الهواء المحمول معه حتى لا يكون صدره ضيقًا حرجًا فيسبب الوفاة والموت لعدم وجود هواء الأكسجين خارج الأرض في السماء وقد أشار الله إلى هذه الحقيقة منذ أكثر من ألف وأربع مائة سنة.

وقد أخبر الله ﷻ في كتابه الحكيم عن مراحل تكوين الإنسان في بطن أمه بعد النطفة علقة ثم مضغة ثم عظاما، فقال الله ﷻ في كتابه المجيد: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة المؤمنون:١٢-١٤]

وها هو الإنسان يكتشف هذه المراحل والأطوار في هذا العصر الحديث لتصبح حقائق مرئية للناس وقد أخبر الله بها في القرآن منذ ما يزيد على ألف وأربعمائة سنة وهي حقائق من أسرار خلق الله للإنسان لا يعلمها إلا هو ﷻ.

إعجاز القرآن في إخباره عن الغيب في المستقبل

ومن إعجاز القرآن العظيم إخباره عن أمور غيبية تقع في المستقبل فمن ذلك إخباره عن غلبة الروم لبلاد فارس من بعد أن غلبوا منهم أولًا وذلك فى بضع سنين، فقال الله ﷻ في كتابه الحكيم: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾ [سورة الروم: ١-٤]

"روى ابْنُ جَرِيرٍ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ -قَالَ: كَانَ فَارِسُ ظَاهِرًا عَلَى الرُّومِ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ فَارِسُ عَلَى الروم. وك ان الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ وَهُمْ أَقْرَبُ إِلَى دِينِهِمْ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الم. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الأرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ قَالُوا: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ صَاحِبَكَ يَقُولُ: إِنَّ الرُّومَ تَظْهَرُ عَلَى فَارِسَ فِي بِضْعِ سِنِينَ؟! قَالَ: صَدَقَ. قَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ نُقَامِرَكَ، فَبَايَعُوهُ عَلَى أَرْبَعِ قَلَائِصَ إِلَى سَبْعِ سِنِينَ، فَمَضَتِ السَّبْعُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ، فَفَرِحَ الْمُشْرِكُونَ بِذَلِكَ وَشَقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فذُكِر ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: "مَا بِضْعُ سِنِينَ عِنْدَكُمْ"؟ قَالُوا: دُونَ الْعَشْرِ. قَالَ: "اذْهَبْ فَزَايِدْهُمْ وَازْدَدْ سَنَتَيْنِ فِي الْأَجَلِ". قَالَ: فَمَا مَضَتِ السَّنَتَانِ حَتَّى جَاءَتِ الرُّكْبَانُ بِظُهُورِ الرُّومِ عَلَى فَارِسَ، فَفَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿الم. غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ [وَعْدَ اللَّهِ] لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾"(١١٣)

فهذا الإخبار عن الغيب المستقبلي الذي أخبرنا الله تعالى به في القرآن قد وقع وحدث بعد تسع سنين من أخبار الله ﷻ به.

---

(١١٣) تفسير الطبري (١٤/٢١)

إعجاز القرآن في آثاره على العباد

إن للقرآن العظيم آثارًا على العباد ليست لكتاب غير كتاب الله فمن آثاره على العباد الشفاء لما في الصدور وهي القلوب من أمراض النفس مثل الشبهات والجهل والانحرافات السيئة والآراء الفاسدة والظنون السيئة والمعتقدات الباطلة والكآبة والحزن.

قال الله تعالى في كتابه العظيم القرآن الكريم: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة الإسراء:٨٢] "أَيْ: يُذْهِبُ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ أَمْرَاضٍ، مِنْ شَكٍّ وَنِفَاقٍ، وَشِرْكٍ وَزَيْغٍ وَمَيْلٍ، فَالْقُرْآنُ يَشْفِي مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ. وَهُوَ أَيْضًا رَحْمَةٌ يَحْصُلُ فِيهَا الْإِيمَانُ وَالْحِكْمَةُ وَطَلَبُ الْخَيْرِ وَالرَّغْبَةُ فِيهِ، وَلَيْسَ هَذَا إِلَّا لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَاتَّبَعَهُ، فَإِنَّهُ يَكُونُ شِفَاءً فِي حَقِّهِ وَرَحْمَةً"(١١٤)

وهو أيضًا شفاء للأبدان من الأمراض البدنية التي تصيب الإنسان ومن أي مكروه يصيبه كما يحفظ الله ﷻ به المسلم من العين والحسد.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَنَزَلْنَا ، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ : إِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ سَلِيمٌ ، وَإِنَّ نَفَرَنَا غَيَبٌ ، فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبُنُهُ بِرُقْيَةٍ ، فَرَقَاهُ فَبَرَأَ ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ شَاةً ، وَسَقَانَا لَبَنًا ، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ : أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً ، أَوْ كُنْتَ تَرْقِي ؟ قَالَ: لَا، مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِأُمِّ الْكِتَابِ ، قُلْنَا : لَا تُحْدِثُوا شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَ ، أَوْ نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ(١١٥)

(١١٤) «تفسير ابن كثير» (٥/ ١١٢)

(١١٥) متفق عليه

ومعنى أن سيد الحي سليم أي عضته حية أو ثعبان فهو مغشى عليه لجريان السم في جسده فقرأ الصحابي عليه بأم الكتاب أي بأعظم سورة في القرآن وهي الفاتحة وهي القرآن العظيم فبرأ وشفي من عضة الحية وقام وأمر له بعطاء.

وكذلك من الحسد والعين وكل سوء "عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ : بَيْنَا أَنَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ رَاحِلَتَهُ فِي غَزْوَةٍ إِذْ قَالَ : يَا عُقْبَةُ ، قُلْ ، فَاسْتَمَعْتُ . ثُمَّ قَالَ : يَا عُقْبَةُ ، قُلْ فَاسْتَمَعْتُ ، فَقَالَهَا الثَّالِثَةَ ، فَقُلْتُ : مَا أَقُولُ ؟ فَقَالَ : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ فَقَرَأَ السُّورَةَ حَتَّى خَتَمَهَا ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ وَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ فَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا ، ثُمَّ قَالَ : مَا تَعَوَّذَ بِمِثْلِهِنَّ أَحَدٌ"(١١٦)

"عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ ، فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي"(١١٧)

(١١٦) أخرجه النسائي في "المجتبى" (١ / ٢١٠) برقم: (٩٥١ / ١)
(١١٧) متفق عليه

القرآن معجزة في أحكامه للعباد

إن إعجاز القرآن في أحكامه للفرد والأسرة والمجتمع هو إعجاز إلا هي فإن في أحكامه على جميع أنواعها عدل ورحمة على مستوى الفرد والمجتمع والأسرة فإنها أحكام واقية تجلب المصالح والخير والسعادة للبشر وتحافظ على كيانه ووحدته وتماسكه وتجمع له شتات أمره وتخلص الناس من الشرور التي تقع عليهم أو تحل بهم ممن يريد الفساد أو الإفساد أو يتصلت على حقوق الغير أو مقتنياتهم وتجعل المجتمع متماسكًا منظمًا فلا تسوده قوانين الغابة ولا تسوسه القوانين الجائرة الظالمة والأهواء البشرية التي تضع تصورات مقننة تفتك بالفرد والأسرة والمجتمع فتجعل من أمره عسرًا ومن حاله خسرًا.

ولكن الله ﷻ كتب في القرآن أحكام معجزة لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثلها في سهولتها ويسرها وجلب المنافع للناس وحفظ مصالحهم ويسرها وأنها أحكام واقعية تلائم الناس في كل بقاع الأرض ومختلف أجناسهم وتعالج مشاكلهم ومتطلباتهم الدنيوية وتقطع كل الوسائل المؤدية إلى الشرور والفساد والضياع.

فإن أحكام القرآن تحفظ للناس عقولهم وأموالهم وأعراضهم ودينهم الحق وأنسابهم فإذا نظرت إلى الأمم غير الإسلامية التي لا تعمل بأحكام القرآن العظيم تجد أن القتل يزداد فيهم جدا من بعضهم لبعض والسرقة ويأكل بعضهم أموال بعض بالباطل ولا تجد كيان للأسرة وتولد أطفالهم لا يعرفون لهم أباء وتجدهم غارقين في الشرك والكفر آخذين في أديانهم أسباب العذاب وسخط ربهم عليهم.

- فمثلا من أحكام القرآن تحريم شرب الخمور من أجل حفظ عقل الإنسان فلا يحدث له فساد أو غياب عن الإدراك فإن شئون الإنسان كلها تقوم بهذا العقل فنهى عن تغيبه عن الإدراك حتى لا تفسد شئونه ويكون تصرف العقل في حالة السكر وبال على صاحبه أو

يدمر نفسه أو أهله وأسرته بسبب تعطيل إدراك العقل بشرب الخمر وكذلك أي مادة تعاطيها يؤدي إلى تغطية العقل وتعطيل وظيفته فهي حرام.

- وكذلك من أحكام القرآن تحريم القتل للأنفس المحرمة بدون إذن من الله وهذا التحريم رحمة من الله بالعباد فلا تصبح الدنيا غاية يأكل فيها القوى الضعيف ومن ثم يصبح الخوف سائدا فيها، فإن النفس هي أعز وأغلى شيء عند الإنسان لذلك حرم الله تعالى عليه قتل نفسه فهي ملك لخالقها.
- ومن أحكام القرآن العظيم تحريم إضاعة المال فيما لا يفيد الإنسان ويعود عليه بالنفع هو وأسرته ومن حوله من الخلق فقد حرم لعب الميسر والتبذير وإضاعة المال.
- وحرم الزنا من أجل حفظ الأعراض والنسب للإنسان وحفظ الأسرة وكيانها وقد وجدنا البلاد التي لا تدين بالإسلام وشرائعه ضاعت فيها الأنساب فلا يعرف كثيرًا من الأبناء آباؤهم وليس عندهم أسرة بالكيان الصحيح إلا القليل وتجد الأم تريد أن تتخلص من وليدها لأنه من الزنا فلا وجود لأب يعوله ويرعاه ويتحمل أعباءه ومسئوليته، فتجد الأم أنها أمام أعباء كبيرة لا قِبل لها بها بمفردها وبذلك تفكر في التخلص من مولودها بأي طريقة حتى ولو ألقته في القمامة وكثيرًا ما نسمع ذلك عنهم والزنا مع أنه فاحشة كبرى وذنب عظيم ففيه ظلم عظيم للطفل فلا أب له يرعاه ويعوله ويكفله ويحوطه ويحنو عليه وهو أشد حاجة في الصغر لأبيه.
- وكذلك شرع حد الردة حفظًا للناس من اتخاذ الأديان الباطلة واعتناقها فتؤدي بهم إلى غضب ربهم عليهم ودخولهم عذاب الخلد في دار الجحيم والعياذ بالله، فشرع هذا الحد لتثبيت أهل الإسلام على دينهم الحق الذي لا يقبل الله غيره من الأديان فإن ما سواه باطل ومن اعتنق غيره فهو في الآخرة من الخاسرين في عذاب جهنم خالدين.

فهذا شيء من المقاصد العامة لأحكام كتاب الله القرآن العظيم لنبين للناس أن الله يريد بأحكامه الرحمة للعباد وعدم وقوعهم في الشرور والآثام والضيق وفساد حياتهم وحالهم ويريد تكريمهم والتيسير

عليهم وجلب المنافع لهم ودرء المفاسد عنهم في الدنيا والآخرة وفي محياهم ومماتهم والله يدعوهم باتباع كتابه والإيمان به إلى دار السلام وهي الجنة وإلى سعة الدنيا والآخرة.

القرآن العظيم كلام الله رب العالمين

آياته معجزة لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله

إن القرآن العظيم هو كلام رب العالمين ومعلوم أن الله ﷻ لا يشـــبهه أحد من الخلق في أفعاله ولا صـــفاته ولا في كلامه ولا يدانيه، فقد قال الله في كتابه العزيز القرآن العظيم:﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة البقرة:٢٣-٢٤] "وَأنَّى يَتَأتَّى ذَلِكَ لِأَحَدٍ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ؟ وَكَيْفَ يُشْبِهُ كَلَامُ الْخَالِقِ كَلَامَ الْمَخْلُوقِينَ؟! وَمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَجَدَ فِيهِ مِنْ وُجُوهِ الْإِعْجَازِ فُنُونًا ظَاهِرَةً وَخَفِيَّةً مِنْ حَيْثُ اللَّفْظِ وَمِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّـــلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هُودٍ: ١] ، فَأُحْكِمَتْ أَلْفَاظُهُ وَفُصِّـــلَتْ مَعَانِيهِ أَوْ بِالْعَكْسِ عَلَى الْخِلَافِ، فَكُلٌّ مِنْ لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ فَصِيحٌ لَا يُجَارَى وَلَا يُدَانَى، فَقَدْ أَخْبَرَ عَنْ مَغِيبَاتٍ مَاضِيَةٍ وَآتِيَةٍ كَانَتْ وَوَقَعَتْ طِبْقَ مَا أَخْبَرَ سَـــوَاءً بِسَـــوَاءٍ، وَأَمَرَ بِكُلِّ خَيْرٍ، وَنَهَى عَنْ كُلِّ شَـــرٍّ كَمَا قَالَ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا﴾ [الْأَنْعَامِ: ١١٥] أَيْ: صِدْقًا فِي الْأَخْبَارِ وَعَدْلًا فِي الْأَحْكَامِ، فَكُلُّهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ وَعَدْلٌ وَهُدًى لَيْسَ فِيهِ مُجَازَفَةٌ وَلَا كَذِبٌ وَلَا افتراء" (١١٨)، وَلِهَذَا ثَبَتَ فِي الصَّـــحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُـــولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَـــرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ

(١١٨) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٩٩)

الْقِيَامَةِ"[١١٩] وإنما يرجو النبي ﷺ أن يكون أكثر الأنبياء تبعًا من المصـــدقين به ﷺ لأن المعجزة الكبرى التي أوتيها ألا وهي القرآن الذي أوحاه الله إليه إنما هو باقٍ إلى يوم القيامة بخلاف المعجزات التي أوتيها النبيون من قبله إنما هي قائمة في وقتها لمن شاهدها ثم تنقضي وتنتهي من بين أظهر الناس وهذا بخلاف القرآن العظيم فإنه معجزة باقية متجددة كل حين يعلم الناس ويرون من معجزاته التي أخبر عنها الله بكلامه، فلهذا يكون النبي ﷺ أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة.

قال ﷻ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الإسراء:٨٨] نبه على شرف هذا القرآن العظيم فأخبر أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزل على رسوله لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوا ولو تعاونوا وتساعدوا وتضافروا فإن هذا الأمر لا يُستطاع وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير له ولا مثال له ولا عديل له.

(١١٩) متفق عليه

النبي الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ

هو محمد بن عبد الله نبي ورسول رب العالمين ختم الله به النبيين والمرسلين جعل الله في قلبه الرحمة والرفق واللين والحلم والأناه والرأفة للخلق فكان رحمة من الله للخلق أجمعين فقال الله تعالى في القرآن العظيم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧] حريصًا على هداية الخلق إلى خالقهم ونجاتهم من عذاب الجحيم وعندما سُئِل من أصحابه عن أول أمره فقال ﷺ : أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبِشَارَةُ عِيسَى ، وَرُؤْيَا أُمِّي آمِنَةَ الَّتِي رَأَتْ ، وَكَذَلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ " . وَإِنَّ أُمَّ رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ لَهُ نُورًا أَضَاءَتْ لَهَا قُصُورُ الشَّامِ ، ثُمَّ تَلَا ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ (١٢٠)

وقد قص الله ﷻ في القرآن عن دعوة إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وخليل الرحمن هو وولده إسماعيل النبي عليه السلام أن يبعث الله تعالى في ذريتهما نبي يتلو عليهم آيات الله ﷻ ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وتكون أمة مسلمة على الإسلام دين التوحيد .

قال ﷻ: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [سورة البقرة:١٢٨-١٢٩] "وَالْمُرَادُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ نَوّه بِذِكْرِهِ وَشَهَرَهُ فِي النَّاسِ،

(١٢٠) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٤ / ٣١٢) برقم:(٦٤٠٤) والحاكم في "مستدركه"(٢ / ٤١٨) برقم:(٣٥٨٧) وقال الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ -وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢٢٤

إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَلَمْ يَزَلْ ذِكْرُهُ فِي النَّاسِ مَذْكُورًا مَشْهُورًا سَائِرًا حَتَّى أَفْصَحَ بِاسْمِهِ خاتمُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ نَسَبًا، وَهُوَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَيْثُ قَامَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ خَطِيبًا، وَقَالَ: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصَّفِّ: ٦]"(١٢١)

وقد ذكر الله ﷻ في التوراة والإنجيل صفات وعلامات له ﷺ فقال الله ﷻ:﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة الأعراف:١٥٧] وَهَذِهِ صِفَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ بَشَّرُوا أُمَمَهُمْ بِبَعْثِهِ وَأَمَرُوهُمْ بِمُتَابَعَتِهِ، وَلَمْ تَزَلْ صِفَاتُهُ مَوْجُودَةً فِي كُتُبِهِمْ يَعْرِفُهَا عُلَمَاؤُهُمْ وَأَحْبَارُهُمْ وقد روي عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ : لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما : قُلْتُ : أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ ، قَالَ : أَجَلْ ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي ، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ، وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ ، بِأَنْ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا ، وَآذَانًا صُمًّا ، وَقُلُوبًا غُلْفًا "(١٢٢)

---

(١٢١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٤٤)

(١٢٢) رواه البخاري برقم ٢١٢٥

وقد أعطاه الله علامة النبوة ودليلها كما أعطاها للأنبياء من قبله فخلق الله في جسده الشريف ﷺ خاتم النبوة بين كتيفيه علامة واضحة للناس على أن محمدًا رسول الله حقًّا وصدقًا مبعوث من رب العالمين للخلق أجمعين فيراه الناس بين كتفيه فيوقنون أنه رسول الله رب العالمين فيصدقوه ويتبعوه فيما يبلغهم عن الله تعالى.

"عَنْ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ شَمِطَ مُقَدَّمُ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ ، وَكَانَ إِذَا ادَّهَنَ لَمْ يَتَبَيَّنْ ، وَإِذَا شَعِثَ رَأْسُهُ تَبَيَّنَ ، وَكَانَ كَثِيرَ شَعَرِ اللِّحْيَةِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : وَجْهُهُ مِثْلُ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا ، بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا ، وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يُشْبِهُ جَسَدَهُ"(١٢٣)

وهذا الخاتم هو شيء خلقه الله ووضعه في جسد من اختاره نبيًا فلا يستطيع أحد من الخلق أن يأتي به أو يصطنعه لنفسه.

"عن بُرَيْدَةَ يَقُولُ : جَاءَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ -ﷺ - حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ بِمَائِدَةٍ عَلَيْهَا رُطَبٌ ، فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ :يَا سَلْمَانُ ، مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : صَدَقَةٌ عَلَيْكَ وَعَلَى أَصْحَابِكَ ! فَقَالَ :ارْفَعْهَا ؛ فَإِنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ! قَالَ : فَرَفَعَهَا . فَجَاءَ الْغَدَ بِمِثْلِهِ ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ :مَا هَذَا يَا سَلْمَانُ ؟ فَقَالَ : هَدِيَّةٌ لَكَ ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ - لِأَصْحَابِهِ :ابْسُطُوا. ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْخَاتَمِ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَآمَنَ بِهِ"(١٢٤)

---

(١٢٣) رواه مسلم ٢٣٤٤

(١٢٤) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٢ / ١٦) برقم: (٢١٩٤) وأحمد في "مسنده" (١٠ / ٥٤٥٣) برقم: (٢٣٤٦٣) والترمذي في "الشمائل" (١ / ٤٥) برقم: (٢١)

بعثته النبي محمد ﷺ إلى الناس كافة

وقد أرسله الله للناس أجمعين عربهم وعجمهم أبيضهم وأسودهم رحمة لهم وهاديا وبشيرًا لمن آمن بالله ورسالاته ونذيرًا لمن أعرض وكذب وكفر به ﷺ وبالكتاب العظيم القرآن الكريم الذي أنزله الله عليه نورًا للخلق وهداية بالحق ورحة لهم من الله رب العالمين.

قال الله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ ﴿أَنزلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ يَعْنِي: مَكَّةَ ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، وَمِنْ سَائِرِ طَوَائِفِ بَنِي آدَمَ مِنْ عَرَبٍ وَعَجَمٍ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٥٨] ، وَقَالَ ﴿لأنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٩] "وروى ابْنُ جَرِيرٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي مَعْشَرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ فَقَدْ أَبْلَغَهُ مُحَمَّدٍ ﷺ"(١٢٥)

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [سورة الفرقان:١] وقال تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠﴾ [سورة آل عمران:٢٠]

"عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، فَيُرْعَبُ الْعَدُوُّ مِنْ مَسِيرَةِ

(١٢٥) «تفسير ابن كثير » (٣/ ٢٤٥)

شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَقِيلَ لِي : سَلْ تُعْطَهْ ، وَاخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الْقِيَامَةِ ، وَهِيَ نَائِلَةٌ – إِنْ شَاءَ اللهُ – لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئًا"(١٢٦)

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ"(١٢٧)

فبين النبي محمد ﷺ أنه لم يبعث إلى قومه خاصة مثل سائر الأنبياء قبله بل بُعث إلى الناس كافة فلا تقبل أي عبادة أو عمل أو إيمان من أحد يكون على أي شريعة أو رسالة غير الشريعة والرسالة التي أنزلت على النبي محمد ﷺ حتى وإن كان هذا العمل وهذه العبادة على وفق شريعة أحد من الأنبياء قبله ﷺ لأنه أنزلت عليه رسالة وشريعة مهيمنة ورافعة للعمل بالشرائع التي قبلها جميعًا وبعثة النبي محمد ﷺ عامة للناس جميعا بخلاف الأنبياء من قبله فإن بعثتهم كانت خاصة لقومهم فقط فكان الناس من قبل في قرى عدة يتعبدون بالإسلام الذي جاءتهم رسلهم به وبشرائع مختلفة وذلك في زمن واحد وكلٌّ مأمور باتباع رسالة وشريعة النبي الذي بعث فيهم وذلك حدث في زمن النبي إبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام فقال تعالى مُخبرًا عن قول شعيب لقومه:﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩﴾ [سورة هود:٨٩] وهذا كان الناس مأمورين به قبل بعثة النبي ﷺ لأنه لا نبي معه ولا بعده يأتي بشريعة جديدة من عند الله، بل هو آخر رسول وشريعته آخر الشرائع ناسخة لما قبلها وهذا بخلاف الأنبياء من قبله فإنه قد يكون نبيَّين أو ثلاثة في زمن واحد مثل: إبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام فمن آمن بإبراهيم والإسلام الذي أرسل به إبراهيم وعمل بالشريعة التي أنزلت على إبراهيم عليه السلام فهو مسلم مؤمن متقبل عند الله ﷻ.

---

(١٢٦) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٤ / ٣٧٥) برقم: (٦٤٦٢) والحاكم في "مستدركه" (١ / ٢٤١) برقم: (٨٨٦)
(١٢٧) رواه مسلم ١٥٣

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [سورة البقرة:١٣١] وقال تعالى فيمن آمن بإبراهيم وعمل بشريعته قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [سورة الممتحنة:٤] وقد وصفهم بالإيمان، وقبله منهم – وفي نفس الوقت نبي آخر ونزلت عليه شريعة أخرى ألا وهو لوط عليه السلام فقال تعالى عن إبراهيم: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأنبياء:٦٩-٧١] وقال عز وجل: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة الأنبياء:٧٤] "فَآتَاهُ اللَّهُ حُكْمًا وَعِلْمًا، وَأَوْحَى إِلَيْهِ، وَجَعَلَهُ نَبِيًّا، وَبَعَثَهُ إِلَى سَدُومَ وَأَعْمَالِهَا، فَخَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ ودَمَّر عَلَيْهِمْ، كَمَا قَصَّ خَبَرَهُمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ"[١٢٨] فقال تعالى عن آل بيت لوط عليه السلام: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الذاريات:٣٦] والمؤمنون من أهل لوط عليه السلام لا يتبعون شريعة إبراهيم، ومع ذلك هم مؤمنون مسلمون عند الله وعلى ملة إبراهيم وهي الإسلام، ولكن يعملون بما أنزل الله على لوط من التشريع ومن آمن بإبراهيم هم مؤمنون مسلمون ويعملون بما أنزل الله إليهم على إبراهيم من التشريع فإنه كان النبي يبعث إلى قومه خاصة فإن قومه مأمورون باتباع نبيهم الذي أرسل فيهم هم فقط ولا يتبعون نبي آخر حتى ولو كان في نفس الزمن في قرية أخرى ولا ترفع شريعة هذا النبي شريعة نبي

(١٢٨) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٥٤)

آخر نزلت عليه وكذلك نبي الله شعيب عليه السلام أنزل الله عليه شريعة يتبعها هو والذين آمنوا معه ولا يعملون بشريعة إبراهيم أو لوط عليهما السلام وهم مع ذلك مؤمنون مسلمون فقال تعالى عنهم ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [سورة هود:٩٤]

فإن موسى عليه السلام كانت له شريعة يتبعها ويعمل بها غير شريعة الخضر عليه السلام والخضر له شريعة يتبعها ويعمل بها ولا يتبع الشريعة التي أنزلت على موسى عليه السلام فقد قصَّ الله علينا من نبئهم في كتابه القرآن الحكيم وما فعل الخضر أمام موسى عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار في قرية أهلها ظالمون لا يراعون حق الضيافة. وقد استنكر موسى ؟ كل هذه الأعمال من الخضر لأنها ليست منزلة على موسى عليه السلام ولا هو مأمور بها، ومع ذلك فإن الخضر عليه السلام لا يلحقه أي لوم لعدم عمله بشريعة موسى عليه السلام، وموسى أيضًا لا يلحقه أي لوم لعدم عمله بشريعة الخضر عليه السلام وإنما علَّمه الله في رحلته إلى الخضر أن الإنسان إذ سئل أهو أعلم الناس فيجب عليه أن يرد العلم إلى الله ويقول إنما العلم لله عز وجل.

وهذا بخلاف بعثة محمد ﷺ فإنه بعث إلى الناس كلهم جميعًا كافة فقال تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [سورة آل عمران:٨١]

"قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَابْنُ عَمِّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا أُخِذَ

عَلَيْهِ الْمِيثَاقُ، لئن بَعَث محمدًا وَهُوَ حَيّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ، وأمَرَه أَنْ يَأْخُذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أُمَّتِهِ: لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ليؤمِنُنَّ به ولينصرُنَّه"(١٢٩)

وقد بين النبي محمد ﷺ أنه لا يجوز ولا يحل لأحد اتباع شريعة غير الشريعة التي أنزلها الله على النبي محمد ﷺ ولو كان هذا الإنسان نبي من عند الله فإنه إذا بُعث النبي محمد ﷺ فلا يحل له إلا اتباعه واتباع شريعتة التي أنزلها الله عليه، "عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا ، فَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ أَوْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي"(١٣٠)

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ : الْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ ، وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ ، رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ بَيْنَ مُمَصَّرَيْنِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ ، وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ ، وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْأُسْدُ مَعَ الْإِبِلِ ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ ، لَا تَضُرُّهُمْ ، فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ يُتَوَفَّى ، فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ ، صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ"(١٣١)

---

(١٢٩) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٧)

(١٣٠) أخرجه الدارمي في "مسنده" (١ / ٤٠٣) برقم: (٤٤٩) وابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٣ / ٤٥٨) برقم: (٢٦٩٤٩)

(١٣١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٤ / ٧٤) برقم: (٦١٩٤)

لم يأت النبي محمد ﷺ بدين جديد ولكن متمما للإسلام دين الأنبياء من قبله مصدقا لهم ولما أرسلوا به

النبي محمد ﷺ لم يرسله الله بدين جديد إلى الناس ولكن أرسله الله بدينه الأوحد الذي ليس لله دين غيره وهو الإسلام الذي أرسل به الأنبياء من قبل إلى الناس وهو ثابت لا يبدل ولا يتغير عند الله من حين إلى حين وإنما جاء النبي محمد ﷺ متممًا ومكملًا من الله لمحاسن هذا الدين فإنه دين التوحيد الخالص لله ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له وبذلك أمر الأنبياء ومحمد ﷺ م أجمعين، فقال الله ﷻ في كتابه القرآن العظيم:﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [سورة الشورى:١٣] وقال ﷻ: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَذَّكَّرُونَ ١٣﴾ [سورة النحل:١٣]"أَيْ: وَمِنْ كَمَالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَصِحَّةِ تَوْحِيدِهِ وَطَرِيقِهِ، أَنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ وَسَيِّدَ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كَمَا قَالَ: فِي "الْأَنْعَامِ": ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٦١]"(١٣٢)

(١٣٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٦١٢)

ولكن تختلف الشرائع المنزلة على الأنبياء اختلافا بحسب إرادة الله وحكمته في اختبار الناس كما قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة المائدة:٤٨] قال ابن كثير ﵀ في تفسيره "وَأَمَّا الشَّرَائِعُ فَمُخْتَلِفَةٌ فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فَقَدْ يَكُونُ الشَّيْءُ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ حَرَامًا ثُمَّ يَحِلُّ فِي الشَّرِيعَةِ الْأُخْرَى، وَبِالْعَكْسِ، وَخَفِيفًا فَيُزَادُ فِي الشِّدَّةِ فِي هَذِهِ دُونَ هَذِهِ. وَذَلِكَ لِمَا لَهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ، وَالْحُجَّةِ الدَّامِغَةِ"(١٣٣)

ويوضح النبي ﷺ هذا المعنى فيقول : "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ"(١٣٤)

فيبين النبي ﷺ أن الشريعة التى أنزلت إليه تختلف عن الشرائع التي أنزلت على الأنبياء من قبله ومن بين هذه الاختلافات الغنائم التى أحلت له ولم تحل لأحد من قبله وأن الأرض مسجدا ولم يشرع ذلك لأحد من قبله من الأنبياء وأن النبي محمد ﷺ شرع الله له أن ينذر الناس كافة ولم يشرع لمن قبله من الأنبياء في شريعته ذلك.

---

(١٣٣) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٢٧)

(١٣٤) رواه البخاري -٤٣٨

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ"(١٣٥)

أي نحن معاشـــر الأنبياء أخوة لعلات أي من أب واحد وأمهات شـــتى، والأب هنا هو دين الإسلام أما الشرائع فمتعددة قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ﴾ [سورة الشورى:١٥] "أَيْ: فَلِلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الدِّينِ الَّذِي وَصَّيْنَا بِهِ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ قَبْلَكَ أَصْحَابَ الشَّرَائِعِ الْكِبَارِ الْمُتَّبَعَةِ كَأُولِي الْعَزْمِ وَغَيْرِهِمْ، فادعُ النَّاسَ إِلَيْهِ"(١٣٦)

"عن جَابِر بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا ، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا ، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا ، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ ، فَقَالُوا أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللهَ ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ تَابَعَهُ قُتَيْبَةُ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ خَالِدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ ، عَنْ جَابِرٍ : خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ "(١٣٧)

(١٣٥) متفق عليه

(١٣٦) «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٩٥)

(١٣٧) رواه البخاري - ٧٢٨١

آثار دعوة النبي محمد ﷺ في البشرية

لاشك أن دعوة الأنبياء عليهم السلام في الخلق ليس لها نظير ولا تتشابه مع دعوة أحد من المصلحين من الناس فإن دعوة الأنبياء لها أثار كبيرة وعظيمة بين الناس خاصة في آخر الزمن عند كثرة الناس عددًا فلا يكون لأي داعيًا مصلحًا أتباع مثل الرسل فلو نظرنا إلى عدد الذين استجابوا لدعوة النبي محمد ﷺ نجد أن الذين على دينه وملته واتباعه هم ثلث البشرية تقريبًا ولا يوجد لأي أحد من المصلحين مثل ذلك وقد قال النبي محمد ﷺ "أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ"(١٣٨)

(١٣٨) صحيح مسلم - ١٩٦

من معجزات النبي محمد ﷺ

المعجزات التي أعطاها الله عز وجل للرسول محمد الأمين ﷺ قد لا تحصر لكثرتها وسوف نأتي ببعضها للاختصار فهو ﷺ أكثر الأنبياء في هذا الباب:

أولها القرآن العظيم ذلك الكتاب الذي أنزله الله ﷻ على محمد ﷺ فهو دليل وبرهان على النبي محمد ﷺ رسول من عند الله خاصة وأن النبي محمدا ﷺ لم يكن يقرأ ولا يكتب فكيف لأحد من الخلق أن يأتي بهذا الكتاب وهو لا يقرأ ولا يكتب، وقد تحدى الله الجن والإنس على أن يأتوا بمثل هذا الكتاب ولم يأت أحد منهم بمثل هذا الكتاب ولا يستطيع وهم يقرأون ويكتبون، فدل ذلك على أن النبي محمد ﷺ الأميَّ الذي لا يكتب ولا يقرأ إنما أنزله عليه الله ﷻ من فوق سبع سموات وضمَّنه أخبار عن خلق المخلوقات لم يكن ليعرفها أحد إلا الخالق ﷻ الذي خلق الخلق ويعلم أسراره، أسرار خلق السموات والأرض وما بينهما وأسرار الغيب الماضي وأسرار الغيب المستقبل إلى يوم القيامة، وقد تكلمنا عن ذلك من قبل في إعجاز القرآن العظيم.

وهذا القرآن الكريم هو أكبر المعجزات التي أنزلها الله على رسوله النبي محمد ﷺ وما زال التحدي قائما من الله للخلق الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولم يستطع أحد منذ أنزله الله منذ ألف وأربعمائة وتسعة وأربعون سنة منذ أنزله الله على رسوله ولن يستطيعوا أبدًا وقد أخبرنا الله في هذا القرآن عن ذلك الغيب فقال الله تعالى في كتابه القرآن ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٤] فتحداهم أن يأتوا بعشر سور بل بسورة.

ومن المعجزات التي أجراها الله ﷻ لرسوله ﷺ انشقاق القمر فعن أنس بن مالك "أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فأرَاهُمُ القَمَرَ شِقَّتَيْنِ، حتَّى رَأَوْا حِرَاءً بيْنَهُمَا"(١٣٩)

وقد طلب الكفار آية من النبي ﷺ على صدقه فدعا الله فاستجاب الله له وشق له القمر نصفين فرآه الناس وهذه آية عظيمة من الله للناس حتى يعلموا أن محمدا ﷺ رسول الله حقًّا وصدقًا ولا يزال أثر هذا الانشقاق موجود إلى يومنا هذا مصوَّرًا بالأجهزة الحديثة.

ومن معجزاته أيضًا التي أجراها الله ﷻ له ﷺ نبع الماء من بين أصابعه – عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ ، فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَضُوءٍ ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ يَدَهُ ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّئُوا مِنْهُ. قَالَ: فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ "(١٤٠)

ومن معجزاته أيضًا ﷺ – ما ثبت عَنْ عَبْد الله ابن مسعود : قَالَ كُنَّا نَعُدُّ الْآيَاتِ بَرَكَةً وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَقَلَّ الْمَاءُ فَقَالَ اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ فَجَاؤُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ ثُمَّ قَالَ حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللهِ فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ"(١٤١)

ومن معجزاته ﷺ ما ثبت عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال: "إني لأعرفُ حجراً بمكةَ كان يسلمُ عليَّ قبل أن أبعثَ إني لأعرفُهُ الآن"(١٤٢)

ومن معجزاته أيضًا ﷺ ما ثبت عن سمرة بن جندب ﷺ قال: "كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَتَدَاوَلُ مِنْ قَصْعَةٍ مِنْ غُدْوَةٍ حَتَّى اللَّيْلِ ، تَقُومُ عَشَرَةٌ وَتَقْعُدُ عَشَرَةٌ ، قُلْنَا: فَمَا كَانَتْ تُمَدُّ؟ قَالَ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَعْجَبُ؟ مَا كَانَتْ تُمَدُّ إِلَّا مِنْ هَاهُنَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ"(١٤٣)

---

(١٣٩) صحيح البخاري : ٣٨٦٨

(١٤٠) متفق عليه

(١٤١) صحيح البخاري : ٣٥٧٩

(١٤٢) صحيح مسلم : ٢٢٧٧

(١٤٣) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٤ / ٤٦٣) والترمذي في "جامعه" (٦ / ١٨) برقم: (٣٦٢٥) وقال هذا حديث حسن صحيح

ومن معجزاته أيضًا ﷺ ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ نَبِيٌّ؟ قَالَ: إِنْ دَعَوْتُ هَذَا الْعِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ ، تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ: ارْجِعْ، فَعَادَ، فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِيُّ"(١٤٤)

ومن معجزاته أيضًا ﷺ ما ثبت عن يزيد بن أبي عبيد رضي الله عنه قال: "رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ، فَقُلتُ: يا أَبَا مُسْلِمٍ، ما هذِهِ الضَّرْبَةُ؟ فَقَالَ: هذِهِ ضَرْبَةٌ أَصَابَتْنِي يَومَ خَيْبَرَ، فَقَالَ النَّاسُ: أُصِيبَ سَلَمَةُ، فأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَنَفَثَ فيه ثَلَاثَ نَفَثَاتٍ، فَما اشْتَكَيْتُهَا حتَّى السَّاعَةِ"(١٤٥)

والمتتبع لمعجزات النبي محمد ﷺ يجد عددًا كثيرًا جدًّا قد أيد الله به رسوله الكريم ﷺ ونكتفي بذكر ما أسلفنا من المعجزات لعدم الإطالة والله ولي التوفيق.

---

(١٤٤) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم: (٦٥٢٣) والحاكم في "مســـتدركه" (٢ / ٦٢٠) برقم: (٤٢٦٠) والترمذي في "جامعه" (٦ / ٢٠) برقم: (٣٦٢٨) وقال هذا حديث حسن غريب صحيح – وصححه ووافقه الألباني في المشكاة

(١٤٥) صحيح البخاري: ٤٢٠٦

تاريخ الإسلام عند الله ﷻ

إن دين الله واحد ولا يبدله الله من وقت إلى آخر بل هو ثابت منذ قدر الله أن يكون دين الإسلام هو الذي يكون الخلق كلهم مأمورين باعتناقه وأتباعه والإيمان به وكلهم مختبرون في اتباع هذا الدين الذى شرعه الله للعباد، النبي محمد ﷺ يعلم الناس عن بدء تقدير الله لهذه الأمور كلها التي أوجدها الله وخلقها وشرعها للعباد ومن ضمن هذه الأشياء دين الله وهو الإسلام فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه "عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ : وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ"(١٤٦)

وقد كتب الله ﷻ في اللوح المحفوظ أن الدين الذي شرعه للخلق هو الإسلام فعن "عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ رسول الله ﷺ: كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ"(١٤٧)

والإسلام شيء شرعه الله للعباد وكتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة – "قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى الْقَلَمُ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ . قَالَ: رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ

(١٤٦) صحيح مسلم : ٢٦٥٣
(١٤٧) صحيح البخاري : ٧٤١٨

شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي "(١٤٨)

(١٤٨) أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٨ / ٢٧٤) برقم: (٣٣٦) وأبو داود في "سننه" (٤ / ٣٦٢) برقم: (٤٧٠٠) وصححه الألباني

الكون كله أسلم لله خالقه وسبح لله وعبده

فقد قال تعالى في سورة آل عمران منكرًا على من اتخذ غير الإسلام دينًا ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة آل عمران:٨٣] "يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى مَنْ أَرَادَ دِينًا سِوَى دِينِ اللَّهِ، الَّذِي أَنْزَلَ بِهِ كتبَه وَأَرْسَلَ بِهِ رسلَه، وَهُوَ عِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شريك له، الذي ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أَيِ: اسْتَسْلَمَ لَهُ مِنْ فِيهِمَا طَوْعًا وَكَرْهًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ [الرَّعْدِ:١٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ. وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النَّحْلِ: ٤٨ -٥٠]"(١٤٩)

وقال الله ﷻ بيانًا لإسلام الملائكة الذين هم عند الله في السماء قال ﷻ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة آل عمران:٨٣] وقال تعالى عن عبادتهم له ﷻ بدين الإسلام واتباعهم لأمر الله بهذا الدين قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [سورة الأعراف:٢٠٦] فهذه العبادات التي تقوم بها لله فهي الإسلام الذي يدينون به لله ﷻ.

---

(١٤٩) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٩)

قال تعالى في كتابه العزيز مبينًا أن كل شيء خلقه الله في عبادة دائمة لله تعالى وتسبيح وصلاة لا تنقطع من غير الثقلين الإنس والجن، فقال عز من قائل:﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [سورة الإسراء:٤٤] "تُقَدِّسُهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَيْ: مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَتُنَزِّهُهُ وَتُعَظِّمُهُ وتجِلّه وَتَكَبِّرُهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، وَتَشْهَدُ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ"(١٥٠) وهذا هو معنى الإسلام فهو إفراد الله بالعبادة والانقياد والاستسلام له سبحانه، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيٌّ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ طَيَالِسَةٍ مَكْفُوفَةٍ بِالدِّيبَاجِ ، فَقَالَ : إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا يُرِيدُ رَفْعَ كُلِّ رَاعٍ وَابْنِ رَاعٍ ، وَيَضَعُ كُلَّ فَارِسٍ وَابْنَ فَارِسٍ ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُغْضَبًا فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ فَاجْتَذَبَهُ وَقَالَ : " أَلَا أَرَى عَلَيْكَ ثِيَابَ مَنْ لَا يَعْقِلُ " ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَجَلَسَ ، فَقَالَ : إِنَّ نُوحًا لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَعَا ابْنَيْهِ فَقَالَ : إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكُمُ الْوَصِيَّةَ : آمُرُكُمَا اثْنَيْنِ وَأَنْهَاكُمَا عَنِ اثْنَيْنِ : أَنْهَاكُمَا عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ وَآمُرُكُمَا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى كَانَتْ أَرْجَحَ مِنْهُمَا ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا كَانَتْ حَلْقَةً فَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عَلَيْهِمَا لَقَصَمَتْهُمَا ، وَآمُرُكُمَا بِسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهُمَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ"(١٥١)

فالشاهد هنا قول النبي ﷺ فإنها صلاة كل شيء، فهذا التسبيح والتحميد من السموات والأرض وما فيهن، إنما هي صلاتهم المفروضة عليهم بأمر خالقهم فانقادوا واستسلموا لأمر الله خالقهم وأذعنوا له فقاموا بهذه الصلاة ألا وهي قولهم سبحان الله وبحمده كما ورد في الحديث، معلنين بتلك الصلاة إسلامهم لله خالقهم وتوحيدهم إياه سبحانه هو الواحد القهار وتعظيمه وتنزيهه

(١٥٠) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٧٨)

(١٥١) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (١ / ٤٨) برقم: (١٥٤) قال الحاكم : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ

ﷻ عن الشـــريك والولد والصـــاحبة عن ذلك علوًا كبيرًا وتنزيهه عن أي نقص أو عيب جل في علاه.

الكون يغضب لله ممن اعتقد غير ما في الإسلام وأشرك بالله

بل إن السموات والأرض والجبال تجل الله عن أقوال أهل الأديان الباطلة التي انحرفت عن الإسلام واختلفت عنه في عقيدة وأحكامه فأصبحت باطلة لهذا الخروج عن الإسلام كاليهودية والنصرانية والأديان الشركية فإن السموات والأرض والجبال تغضب لله إجلالًا له عند سماعها هذه الأقوال المناقضة لدين الإسلام ومضادة لما قرره الله ﷻ في دينه الإسلام وأخبر به في كتبه وعلى لسان رسله من أولهم إلى آخرهم قال ﷻ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠﴾ [سورة مريم:٨٨-٩٠] "لَمَّا قَرَّرَ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ الشَّرِيفَةِ عُبُودِيَّةَ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَكَرَ خَلْقَهُ مِنْ مَرْيَمَ بِلَا أَبٍ، شَرَعَ فِي مَقَامِ الْإِنْكَارِ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ لَهُ وَلَدًا - تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا-فَقَالَ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ﴾ أَيْ: فِي قَوْلِكُمْ هَذَا، ﴿شَيْئًا إِدًّا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وقَتَادَةُ، وَمَالِكٌ: أَيْ عَظِيمًا ، وَيُقَالُ: ﴿إِدًّا﴾ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِهَا، وَمَعَ مَدِّهَا أيضا، ثلاث لغات، أشهرها الأولى وَقَوْلُهُ: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ أَيْ: يَكَادُ يَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَ سَمَاعِهِنَّ هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنْ فَجَرَةِ بَنِي آدَمَ، إِعْظَامًا لِلرَّبِّ وَإِجْلَالًا؛ لِأَنَّهُنَّ مَخْلُوقَاتٌ وَمُؤَسَّسَاتٌ عَلَى تَوْحِيدِهِ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، وَلَا كُفْءَ لَهُ، بَلْ هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ ، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: ﴿وَتَنْشَقُّ الأرْضُ﴾ أَيْ: غَضَبًا لِلَّهِ، ﷻ"(١٥٢)

(١٥٢) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٦٦)

الكون يعبد الله ربه بالسجود له وحده لا شريك له

ها هي الشمس من مخلوقات الله تعالى تسبح لله وحده وتسجد له وحده ولا تسجد ولا تعبد إلا الله خالقها، فقال الله تعالى:﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾ [سورة يس:٣٨] .

"عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه- قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ -ﷺ- فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ ، أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ: فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾"(١٥٣)

فهي أسلمت لله خالقها بأن عبدت ربها بالسجود والإذعان لأمره ﷻ وقد أعلمنا الله بسجود بعض مخلوقات له عبادة منهم له ﷻ قال ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ١٨﴾ [سورة الحج:١٨].

"يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَإِنَّهُ يَسْجُدُ لِعَظَمَتِهِ كُلُّ شَيْءٍ طَوْعًا وَكَرْهًا وَسُجُودُ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَخْتَصُّ بِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النَّحْلِ: ٤٨] . وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ﴾ أَيْ: مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي أَقْطَارِ السموات، وَالْحَيَوَانَاتِ فِي جَمِيعِ

(١٥٣) صحيح البخاري : ٤٨٠٢

الْجِهَاتِ، مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالدَّوَابِّ وَالطَّيْرِ، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٤٤]
.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾ : إِنَّمَا ذَكَرَ هَذِهِ عَلَى التَّنْصِيصِ؛ لِأَنَّهَا قَدْ عُبدت مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا تَسْجُدُ لِخَالِقِهَا، وَأَنَّهَا مَرْبُوبَةٌ مُسَخَّرَةٌ ،قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: مَا فِي السَّمَاءِ نَجْمٌ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ، إِلَّا يَقَعُ لِلَّهِ سَاجِدًا حِينَ يَغِيبُ، ثُمَّ لَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يُؤْذَنَ لَهُ، فَيَأْخُذَ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَطْلَعِهِ. وَأَمَّا الْجِبَالُ وَالشَّجَرُ فَسُجُودُهُمَا بفَيء ظِلَالِهِمَا عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ"(١٥٤)

وهذه الجمادات أيضًا أسلمت لربها وإذ عنت واستسلمت لأمره ﷻ بعبادته وذكره وتسبيحه فقال الله تعالى في كتابه الحكيم:﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [سورة الإسراء:٤٤] "تُقَدِّسُهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَيْ: مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَتُنَزِّهُهُ وَتُعَظِّمُهُ وتجِّله وَتَكَبِّرُهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ، وَتَشْهَدُ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ"(١٥٥)

وهذا هو معنى الإسلام وأساس عقيدته ومعتقداته فالله ﷻ لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في ملكه وقد خلق الله جميع الخلائق التي نراها ونعرفها والتي لا نراها ولا نعرفها، خلقها الله ﷻ وحده حتى تعبده وحده لا شريك له.

قال ابن كثير ﷺ في تفسيره : "قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ أَيْ: وَمَا مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ أَيْ: لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ أَيُّهَا النَّاسُ؛ لِأَنَّهَا بِخِلَافِ لُغَتِكُمْ. وَهَذَا عَامٌّ فِي الْحَيَوَانَاتِ وَالنَّبَاتِ وَالْجَمَادِ، وَهَذَا أَشْهَرُ الْقَوْلَيْنِ، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤكل،

(١٥٤) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤٠٣) بتصرف
(١٥٥) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٧٨)

وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ فِي يَدِهِ حَصَيَاتٍ، فَسُمِعَ لَهُنَّ تَسْبِيحٌ كَحَنِينِ النَّحْلِ، وَكَذَا يَدُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، رضي الله عنهم أَجْمَعِينَ، وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ فِي الْمَسَانِيدِ"(١٥٦)

وأيضًا أخبر النبي ﷺ عن النمل أنه يعبد الله وحده ويسبحه وهي صلاته لخالقه وحده، "عن أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ : أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ"(١٥٧)

وهذا بفضل الله الكريم الوهاب آخر ما تيسر لي في الكتاب وقد رتبته بحسب عصور الأنبياء وتواليهم حتى تكون قصصهم ودعوتهم تثبيتا بإذن الله لقلوب المؤمنين بالله ودينه الإسلام وتبصره لهم للحق الذي هم عليه وتكون في نفس الوقت دعوة للكافرين إلى الإسلام دين رب العالمين وهداية لهم بإذن الله.

ونسأل الله أن يجعله هداية للخلق يهدي به من يشاء إلى رضاه ﷻ وإلى جنته ونسأل الله أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه

... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١٥٦) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٧٩)

(١٥٧) متفق عليه

المراجع

- القرآن الكريم
- الجامع الكبير (سنن الترمذي) / أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) – حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف – دار الغرب الإسلامي – بيروت
- السنن الكبرى / أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ) / حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي – أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط – قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي – الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت
- المستدرك على الصحيحين / أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ) – تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج / أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي / ت: (٦٧٦هـ) / دار إحياء التراث العربي – بيروت –ط٢ (١٣٩٢هـ)
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل / محمد ناصر الدين الألباني / المكتب الإسلامي / بيروت ، دمشق /ط٢ (١٤٠٢هـ)
- موسوعة التفسير المأثور / مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي– دار ابن حزم – بيروت / المشرفون: أ. د. مساعد بن سليمان الطيار – د. نوح بن يحيى الشهري
- تفسير ابن زمنين (تفسير القرآن العزيز) أبي عبد الله محمد بن عبدالله بن أبي زمنين (٣٩٩هـ) / ت: أبو حسين عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز / الفاروق الجديثة / مصر / القاهرة / ط١ (١٤٢٣هـ)

- تفسير البغوي / للإمام أبي عبدالله بن مسعود البغوي (٥١٦هـ) / ت: محمد النمر ، وعثمان جمعة ضمربة ، وسليمان الحرش / دار الطيبة الخضراء – الرياض – السعودية / ط٢ (١٤٢٣هـ)
- تفسير القاسمي (محاسن التأويل) / محمد جمال الدين القاسمي (١٣٢٢هـ) / ت: محمد فؤاد عبد الباقي / مؤسسة التاريخ العربي / بيروت – لبنان / ط١ (١٤١٥هـ)
- تفسير القرآن العظيم / إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء (٧٧٤هـ) / ت: سامي سلامة – دار طيبة الخضراء / السعودية – الرياض / ط١ (١٤١٨هـ)
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبد الرحمن بن ناصر السعدي / ت: ابن عثيمين / مؤسسة الرسالة / بيروت / (١٤٢١هـ)
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها / أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ) / مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض / الطبعة: الأولى
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة / محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني / مكتبة المعارف – السعودية – ط١ (١٤١٢ هـ)
- سنن ابن ماجه / ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣هـ) – محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي .
- سنن أبي داود / أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٧٥ هـ) – تحقيق : شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره بللي / دار الرسالة العالمية – الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ .
- صحيح البخاري / أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي / السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر –ثم صَوّرها

بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت

- صحيح الجامع الصغير وزياداته / محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني / ت: ١٤٢٠هـ / المكتب الإسلامي
- صحيح مسلم / أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) / المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي - القاهرة (وصَوّرتْها: دار إحياء التراث العربي - بيروت)
- ظلال الجنة في تخريج السنة (تخريج الشيخ الألباني لكتاب السنة لابن أبي عاصم)/ محمد ناصر الدين الألباني / المكتب الإسلامي / بيروت ، دمشق / ط١ (١٤٠٠هـ)
- غريب الحديث / عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد / ت: د. عبدالله الجبوري/مطبعة العاني/بغداد/ ط: الأولى (١٣٩٧هـ)
- فتح الباري شرح صحيح البخاري / لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) / ت: محب الدين الخطيب / المكتبة السلفية - القاهرة / ط٣ (١٤٠٧هـ)
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله (٧٥١هـ) ت: محمد حامد الفقي / دار الكتاب العربي / بيروت / ط : الثانية (١٣٩٣هـ)
- مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون / مؤسسة الرسالة/ بيروت - لبنان / ط١ (١٤١٦هـ)
- مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي
- معارج القبول بشرح سلم الوصول / حافظ بن أحمد الحكمي (١٣٧٧هـ)/:عمر بن محمود أبو عمر/دار ابن القيم/الدمام/ ط:(١٤١٠-١٩٩٠).

الفهرس

المقدمة ٢

حكم الله ﷻ على اليهود والنصارى بالكفر ولعنهم لأقوالهم الكفرية وتكذيبهم لكتاب الله ورسوله ٧

إن الله يخلق العباد حين يخرجوا من بطون أمهاتهم مسلمين على دينه المرضي عنده الذي شرعه لهم ١١

الإسلام دين الأنبياء جميعاً وأمرهم أن يدعو الناس إليه وأن يكونوا أول المسلمين ١٣

الله ﷻ لا يغير الدين ولا يبدله من زمن إلى آخر بل هو دين واحد لكل العباد على مر العصور ١٥

دين نبي الله نوح الذي جاء به من عند الله الإسلام

ودعوة قومه للدخول فيه والإيمان به..... ١٧

دين نبي الله هود عليه السلام ودعوته لقومه إلى الدخول في دين التوحيد وهو الإسلام ٢٠

دين نبي الله لوط عليه السلام الذي كان يدعو الناس إليه هو الإسلام ٢٢

دين نبي الله إبراهيم عليه السلام الذي كان يدعو إليه الناس هو الإسلام ٢٣

دين نبي الله يعقوب عليه السلام الذي كان يدعو الناس إليه هو الإسلام ٢٩

دين نبي الله يوسف عليه السلام الذي كان يدعو الناس إلى اتباعه في مصر إلى الإسلام ٣١

دين نبي الله موسى عليه السلام الذي كان يدعو إليه قومه بني إسرائيل

وأهل مصر هو الإسلام ٣٣

مزاعم وبدع عند أصحاب ضلالة توحيد الأديان الثلاثة ومساواتها ٤٠

جميع أنبياء بني إسرائيل من بعد نبي الله موسى عليه السلام مسلمون يدعون
إلى دين الله الإسلام ٤٦
دين نبي الله سليمان وأبوه نبي الله داود عليهما السلام ودعوتهما وجهادهما
في سبيل نشر الإسلام ٤٧
دين نبي الله يونس ابن متى عليه السلام ودعوته الناس للإسلام والتوحيد ٥٢
دين نبي الله يحيى وأباه زكريا عليهما السلام ودعوتهما للناس إلى الإسلام دين التوحيد ٥٤
من هو عيسى ابن مريم عليه السلام؟ ٥٧
دين عيسى ابن مريم عليه السلام هو الإسلام الذي دعا بني إسرائيل إلى اتباعه ٥٩
ما أعطى الله ﷻ عيسى ابن مريم من المعجزات وبيان ما يماثلها
من معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ٦٣
ما أعطى الله ﷻ لنبيه صالح من المعجزة وبيان أنها أكبر
من معجزة عيسى ابن مريم عليه السلام ٦٦
قد أحيا الله الموتى معجزة لإبراهيم وموسى قبل أن يحيها لعيسى عليهم السلام ٦٨
التعرف على الإله الحق خالق السموات والأرض
ببعض أسمائه الجليلة وصفاته العظيمة ٧٢
عبودية عيسى هو وأمه لله رب العالمين وعلامات بشريته ٨٠
تبرءة عيسى ابن مريم عليه السلام أمام الله يوم القيامة ممن عبدوه في الدنيا من النصارى ٨٢
حقيقة انحراف النصارى عن دين الإسلام الذي جاء به عيسى عليه السلام

إليهم واتباعهم الظنون لا الوحي ٨٥
اتباع النصارى الظنون في أمر عيسى عليه السلام بعد نجاته من القتل برفعه إلى السماء ٨٧
نزول آخر رسالات الله لأهل الأرض على خاتم النبيين محمد ﷺ النبي الأمي ٨٩
لا يترك الله العباد هملًا بغير إرسال رسول ٩١
جعل الله القرآن العظيم الرسالة الأخيرة لأهل الأرض معجزة خالدة إلى يوم القيامة ٩٥
القرآن معجزة في إخباره عن الأمم الماضية ٩٨
القرآن معجزة في إخباره عن حقائق علمية في الكون ٩٩
إعجاز القرآن في إخباره عن الغيب في المستقبل ١٠١
إعجاز القرآن في آثاره على العباد ١٠٢
القرآن معجزة في أحكامه للعباد ١٠٤
القرآن العظيم كلام الله رب العالمين آياته معجزة لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله ١٠٧
النبي الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ١٠٩
بعثته النبي محمد ﷺ إلى الناس كافة ١١٢
لم يأت النبي محمد ﷺ بدين جديد ولكن متممًا للإسلام دين الأنبياء من قبله
مصدقا لهم ولما أرسلوا به ١١٧
آثار دعوة النبي محمد ﷺ في البشرية ١٢٠
من معجزات النبي محمد ﷺ ١٢١
تاريخ الإسلام عند الله جل جلاله ١٢٤

الكون كله أسلم لله خالقه وسبح لله وعبده ١٢٦

الكون يغضب لله ممن اعتقد غير ما في الإسلام وأشرك بالله ١٢٩

الكون يعبد الله ربه بالسجود له وحده لا شريك له ١٣٠

المراجع ١٣٣

الفهرس ١٣٦